دراسات فلسطينية

٦١

عروبة بيت المقدس

الدكتور اسحق موسى الحسيني

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث

عروبة بيت المقدس

Dr. Issac Mousa Al Housaini,
The Arab Character of Jerusalem,
Palestine Monographs No. 61,
Palestine Liberation Organization,
Research Center,
606 Sadat St., Beirut, Lebanon.

عروبة بيت المقدس

بروفات

الدكتور اسحق موسى الحسيني

منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث
بيروت

تموز (يوليو) ١٩٦٩

محتويات الكتاب

	الصفحة
تمهيد	٧
١ ــ مدينة بيت المقدس عربية قديما وحديثا	٩
٢ ــ اسماء بيت المقدس	٢٩
٣ ــ الآثار الاسلامية في بيت المقدس قبل الفتح العمري	٤٦
٤ ــ الآثار الاسلامية في بيت المقدس بعد الفتح العمري	٥١
٥ ــ مصير بيت المقدس	٥٨
٦ ــ مكانة بيت المقدس في الاسلام	٦٦
٧ ــ فضائل بيت المقدس	٧٦
جدول تاريخي لمدينة القدس	٨٥
مصادر دراسة بيت المقدس	٨٧

تمهيد

كتب العالم الفلسطيني الدكتور اسحق موسى الحسيني هذه الدراسة العلمية عن عروبة القدس في العام ١٩٦٨ ، وكان المفروض ان ينشرها مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في آن واحد مع دراسة اخرى ، عن القدس في محيط العلاقات الدولية ، للدكتور عز الدين فوده ، في مطلع العام الحالي ، الا ان الدكتور الحسيني رغب في تأخير نشر دراسته بعض الوقت ، فظهرت الدراسة الاخرى في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ (سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٥٢) . وها هي دراسة الدكتور الحسيني تظهر اليوم وكلتا الدراستان يكمّل بعضهما بعضا ، ويكوّنان (مع مقالة عن مكانة القدس في التاريخ العربي والاسلامي ، للدكتور عبد اللطيف الطيباوي ، نشرها المركز ضمن مجموعة مقالات في سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٥٧ ، في نيسان ، ابريل، ١٩٦٩ ، بالفرنسية) معالجة متكاملة وشاملة لهذه المدينة الفلسطينية العربية الخالدة التي تنفرد ، بين مدن الارض قاطبة ، باستئثار اهتمام الناس فيكافة انحاء الكرةالارضية.

وجدير بالذكر ان الدكتور الحسيني اعتمد في دراسته الحاضرة على دراسة سابقة كان قد قدمها ، منذ اكثر من سنة ، الى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة ، ووزعت آنذاك توزيعا محدودا .

انيس صايغ

مدير عام مركز الابحاث

(١)

مدينة بيت المقدس عربية
قديما وحديثا

ان كل بقعة من وطننا الغالي مقدسة لانها مجبولة بدماء الآباء والاجداد ، ولان فيها نمت حضارتنا وازدهرت حتى تفيأت بظلها اوروبه ، بعد القرون الوسطى ، وشاركت في جني ثمارها .

ولن يفرط الابناء بتراث الآباء ، وسيدافعون عن كل شبر من وطنهم الغالي دفاع الاسد عن عرينه .

وبيت المقدس صرة هذا الوطن المقدس ، وملتقى اقطاره ، « ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الاولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحي ، ومنزل ينزل به الامر والنهي ، وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم وروحه عيسى الذي اكرمه برسالته وشرفه بنبوته » (١) .

فهي عزيزة علينا ، دنيا ودينا ، قديما وحديثا ، ولن يفرط فيها عربي ، مسلما كان ام مسيحيا .

---

١ ــ مجير الدين الحنبلي ، (الانس الجليل) القاهرة ١٢٨٣ هـ ج ١ ، ص ٢٩٦ .

وما يحتج به بنو اسرائيل من قدسية وتاريخ وذكريات يحتج بمثله العرب ، ويزيدون بما لا يملك الاسرائيليون ، ولو شقوا المرائر ، ومزقوا الثياب (٢) ، وانتحلوا الاسباب .

اولا : ان بيت المقدس كنعانية ـ عربية ، اسسها اصحابها قبل اول عهد لليهود بها باكثر من الفي سنة . ومن اسمها الكنعاني العربي اشتق اسمها العبري واسمها الغربي(٣) .

ثانيا : ان ابراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل) وموسى لم يملكوها . ولو كان وعد الله لهم حقا ، او لو كانوا خليقين بالوعد لظفروا بها . بل ان ابراهيم لم يجز لنفسه ان يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجه سارة . فالتجأ الى (بني حث) اصحاب الارض وقال لهم : « **انا غريب ونزيل عندكم** . اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من امامي » . فقبل (بنو حث) طلبه لانه رئيس من الله بينهم . ولكن ابراهيم عرض ثمنا لمغارة كان يملكها عفرون ابن صوحر ليتخذها مقبرة . فرفض عفرون الثمن وعرض المغارة هبة . ولكن ابراهيم اصر على الشراء ودفع الثمن لعفرون « اربعمائة شاقل فضة جائزة عند التجار » (٤) .

ونحن نقول : ما معنى الوعد ؟ وكيف فهمه ابراهيم ؟

---

٢ ـ كان بعض المهووسين من اليهود اذا قربوا من البراق الشريف المسمى عندهم بحائط المبكى يمزق ثيابه مبالغة في اظهار حزنه .

٣ ـ انظر فصل اسماء بيت المقدس .

٤ ـ سفر التكوين ٢٣/٣ ـ ١٦ .

ولم لم يعد الارض التي وعدها الله بها ملكا له حقا ؟ ولم أصر على دفع ثمن الكهف ، مع ان صاحبه عرضه عليه هبة ؟ واذا كان الحال كذلك مع ابراهيم ، صاحب الوعد الاول ، أيجوز ان يستولي بنو اسرائيل اليوم على مئات القرى والمدن العربية بالارهاب والقوة ؟.

وتكرر ذلك مع ابنه يعقوب . فانه « اتى الى مدينة شكيم التي في ارض كنعان .. وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور .. بمائة قسيطة » (٥) .

ثالثا : ان داود اول من فتح يبوس (يبوس = بيت المقدس) في القرن الحادي عشر ق.م ودام حكمه هو وابنه سليمان نحو ثمانين سنة . وفي اثناء حكم سليمان كانت الدولة تدين بالولاء لمصر . ثم انشقت مملكة داود الى اسرائيل ويهوذا ، واضحت المدينة عاصمة يهوذا وحدها . ولم تعترف اسرائيل للمدينة بالسيادة الدينية (٦) . وفي سنة ٥٨٦ ق.م اطاح البابليون بيهوذا وسبوا اهلها . واذن فحكمهم لم يزد عن ٤١٨ سنة ، اذا تجاوزنا عن فترة الانشقاق .

وحدث لداود ما حدث لابراهيم ويعقوب . فقد اراد ان يقيم مذبحا في بيدر ارونة اليبوسي . وعرض اليبوسي على داود بيدرة مجانية. ولكن داود اصر على دفع ثمن البيدر

---

٥ ــ سفر التكوين ١٨/٣٣ ــ ٢٠ .

٦ ــ راجع N. Barbour, Nisi Dominus, P. 11 & 16.

خمسين شاقلا من الفضة . وبنى داود هناك مذبحا للرب (٧).

وانظر كيف اشترى داود ارضا في (بيت المقدس) ودفع لصاحبها اليبوسي ، العربي ، ثمنها ، مع انها مخصصة للعبادة ، في حين يغتصب اليوم بنو اسرائيل اراضي العرب في بيت المقدس ويطردون اصحابها ، ويهدمون بيوت العرب، ويشردون ساكنيها دون ان يستيقظ ضميرهم ، او ان يتعظوا على الاقل بابراهيم ويعقوب وداود .

ومع ذلك ففي خلال الحكم الاسرائيلي ظل العرب اليبوسيون ـ ويسميهم العهد القديم احيانا « الاسماعيليين » ـ يعيشون في مدينتهم المقدسة . وبذلك يمكن القول ان العرب لم تقطع صلتهم بمدينتهم المقدسة حتى في زمن الاحتلال الاسرائيلي الغابر !.

رابعا : ان الكنعانيين انشأوا في البلاد حضارة ضخمة اطنب في وصفها مؤرخو البلاد المقدسة ، في حين لم ينشىء اليهود حضارة ولم يوفروا امنا . « كان الكنعانيون خلال الفي سنة جسرا بين مدن الحضارة على الفرات والنيل . ومنهم اخذ اليونان الحروف ونقلوها الى العالم . وتأثر الاسرائيليون بحضارة الكنعانيين ، فأخذوا حروفهم التي كتب بها العهد القديم وتأثروا بأسلوبهم الشعري وبموسيقاهم وبدينهم» (٨) .

---

٧ ـ صموئيل الثاني ١٨/٢٤ ـ ٢٥ .

٨ ـ The Westminister Historical Atlas to the Bible, London P. 33.

وفي سفر التثنية ما يؤكد انهم اخذوا حضارة الكنعانيين، دون ان يكون لهم يد في صنعها . « ومتى اتى بك الرب الهك الى الارض التي حلف لآبائك ... » (٩) . وفي العهد القديم ما يشير الى ان اسرائيل كانت في مرحلة البداوة تنزل الخيام حتى في زمن داود . فقد تحدثت عن رجل بنياميني اسمه شبع بن بكرى قال لقومه : « ليس لنا قسم في داود ولا نصيب ، كل رجل الى خيمته يا اسرائيل ، فصعد كل رجال اسرائيل من وراء داود الى وراء شبع بن بكرى » (١٠) .

اما الرسالة الروحية التي اكرمهم الله بها فلم يقدروها حق قدرها ، فعبدوا الاوثان ، وقتلوا الانبياء بغير حق . وحين اقبل سليمان على بناء الهيكل استعان بحورام ملك صور ، **وبالكنعانيين** المهرة ، او بنص العهد القديم ، ارسل اليه «رجل صوري ماهر في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والارجوان والاسمانجوني والكتان والقرمز » .. « وعد سليمان جميع الرجال الاجنبيين الذين في ارض اسرائيل ، بعد العد الذي عدّهم اياه داود ابوه ، فوجدهم مائة وثلاثة وخمسين الفا وستمائة فجعل منهم سبعين الف حمال ، وثمانين الف قطاع على الجبل ، وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب » (١١) .

واذن استعانوا وهم في عصرهم الذهبي وفي ارقى

---

٩ ــ سفر التثنية ٦/١٠ ــ ١١ و ٨/٧ ــ ١٠ .
١٠ ــ صموئيل الثاني ٢٠/١ ــ ٢ .
١١ ــ اخبار الايام الثاني ٢/١٤ ، ١٧ ــ ١٨ .

مرحلة عرفت في تاريخهم بالكنعانيين ـ العرب ـ في بناء هيكلهم .

خامسا : دمر الرومان اورشليم ـ التاريخية ـ مرتين ومحوا اسمها جزاء اعمالهم ، وتحقيقا لنبوءة انبيائهم ولنبوءة السيد المسيح ، وبذلك انقطعت صلتهم بالمدينة وبالارض وبالهيكل مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة . قال ابن البطريق في تاريخه وهو يتحدث عن الخراب الثاني الذي اوقعه ايليا ادريانوس (هادريانوس) : « وهذا آخر خراب بيت المقدس. فمن اليهود من هرب الى مصر ، والى الجبال والغور . وامر الملك ان لا يسكن المدينة يهودي . وان تقتل اليهود ويستأصل جنسهم . وان يسكن المدينة اليونانيون . وان تسمى باسم ايليا . فسميت بيت المقدس ـ منذ ذلك الوقت الى هذه الغاية ، مدينة ايليا . فسكنها اليونانيون وبنوا على باب الهيكل الذي يقال له البهاء برجا، وصيّروا فوقه لوحا كبيرا ، وكتبوا اسم الملك ايليا . فمن الخراب الاول الذي اخربه طيطس الى هذا الخراب ثلاثة وخمسون سنة » (١٢) .

وبعد ذلك حل التشرد Diaspora والاضطهاد منذ الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر للميلاد الى النازية في اواسط القرن العشرين. وكان اشد ما وقع بهم زمن محاكم التفتيش في اسبانيه في القرن الخامس عشر ، وفي الروسية في اواخر القرن التاسع عشر ، ثم في المانيه الهتلرية . وكانوا ينتقلون من بلد الى آخر حتى ضرب المثل « باليهودي التائه » . واين كان ملاذهم ؟

فتح لهم العرب والمسلمون بلادهم وآووهم واحسنوا

١٢ ـ نشر شيخو ، بيروت ١٩٠٤ ، ج ١ ، ص ١٠١ .

اليهم ، ويسروا لهم العبادة . وصلاح الدين الايوبي عطف على اكبر فلاسفتهم موسى بن ميمون وقربه وعينه طبيبا له . وفي كنف المسلمين ترعرعت آدابهم وفلسفتهم في اسبانيه والعراق وشمالي افريقيه .

قال ابراهام هلكن الاسرائيلي Abraham Halkin في كتابه « الانصهار العظيم » The Great Fusion: « ان قانون الايمان الاسلامي تسرب الى الكتب اليهودية . واقتبس اليهود عادة العرب في ذكر الشعر في مؤلفاتهم وكتبهم . والكتابات اليهودية ملأى بالفقرات من مؤلفات العرب العلمية والفلسفية والدينية . ولقد كان الادب العربي، القومي منه والمستقى من مصادر اجنبية، التربة التي نبتت عليها جميع ما كتبه اليهود. وليس من الغريب اذن ان يحدث تجديد في اللغة العبرية بين اليهود في الامبراطورية العربية .

« كان اليهودي في العالم العربي يشعر بالكفاية والامن والطمانينة بدون ان يحتاج الى صهر شخصيته في سكان فلسطين وارضها . في هذا العالم كان اليهودي يحس انه ينزل في وطنه ويقيم بين اهله . لقد كان آمنا ومطمئنا ومندمجا في هذا العالم ، ومتفائلا بمستقبله ، واختبارات اليهود خلال القرون التي ساد فيها الحكم العربي تشكل مرحلة ذات مغزى ومعنى عظيمين من مراحل الانجازات العلمية والاجتماعية التي انجزها افراد الطائفة اليهودية » (١٣) .

---

١٣ ــ وقد روى هذا النص المحامي العربي الياس كوسا في كتابه « قضت مضاجعهم » الذي نشره في حيفا سنة ١٩٦٠ . اما الكتاب نفسه فمطبوع في تل ابيب .

ومنهم من بلغ مرتبة الوزارة كابي سعد التستري في العصر الفاطمي . وبه قال شاعر :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم ، والمال عندهم ، ومنهم المستشار والملك
يا اهل مصر : اني نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك (١٤)

ولكن علاقاتهم السياسية بفلسطين والقدس انصرمت منذ ادريانوس ولم يبق لهم منها الا ذكريات اقرب الى الاوهام والاحلام منها الى الحقائق .

ويذكر كتاب Nisi Dominus لمؤلفه الباحث Nevill Barbour ص ٢٢ ان اليهود فقدوا قوتهم السياسية خارج فلسطين ايضا . ويضيف باربر ان اعتناق الامبراطورية الرومانية المسيحية في القرن الرابع زاد في ضعف مركز اليهود لا سيما في ما يتعلق بادعائهم ان فلسطين لهم بوعد من الله ، اذ اعتقد المسيحيون ان اليهود تخلّوا عن هذا المركز الممتاز برفضهم السيد المسيح ، وبذا اضحى الوعد من حق المسيحيين ورثة ابراهيم بالروح ، وليس من حق اليهود ورثة ابراهيم بالجسد . وليس من المعقول ان يسلّم المسيحيون بسيطرة اليهود السياسية على فلسطين .

وكانت عودتهم الى بيت المقدس بعد التشرد على قلة حينا واستخفاء حينا آخر . ولم يهاجر اليها الا المتدينون والفقراء والعجزة الذين كانوا يبغون الموت فيها . وقد كتب

١٤ ــ حسن المحاضرة للسيوطي ، القاهرة ١٣٣١ هـ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ــ ١٤٦ .

القنصل الاميركي ويلسون سنة ١٨٧٨ م يقـول : « ويهود القدس خاصة فقراء كسالى ضعاف الاجسام والعقـول . ويبدو ان القدس هي محطة يتلاقى فيهـا اليهود المتعصبون المشوهون العجائز ليعيشوا هنـا على الشحاذة والاحسان وليقضوا بقية العمر ينوحون امام حائط المبكى » (١٥) .

وهل وراء حائط المبكى شعور ديني اصيل ؟ يجيب عن هذا السؤال كاتب غربي زار الحائط مساء السبت وصباحه لمدة نصف ساعة في كل زيارة ، بعد عدوان ١٩٦٧ وكتـب يقول : « ربما زاره ثلاثمائة او اربعمائة شخص في اثناء هذه المدة ، ولكن لم يمكث فيه للعبادة اكثر من عشرين شخصا ، كلهم ، بلا استثناء ، حاخامون او طـلاب لاهوت ، يلبسون اردیتهم السوداء وقبعاتهم ذوات الفراء. اما سائر الاسرائيليين، حسب ما رايت ، فقد جاءوا ليلقوا نظرة او ياخذوا صورا ، او يشتروا بطاقات تذكارية » (١٦) .

سادسا : حكم العرب فلسطين نحو ثلاثة عشر قرنـا متواصلة خلا فترة حكم الصليبيين . ولكن عروبة البلاد وما انشىء فيها من مساجد ومدارس وزوايا واسواق وصناعات،

---

١٥ ــ (بين اميركا وفلسطين) . تأليف فرانك ا. مانويل ، ترجمة يوسف حنا ، عمان ١٩٦٧ ، ص ١٥ . وانظـر ص١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ .

١٦ ــ من مقال نشره ج.هـ. جانسن في جريدة
The Statesman (New Delhy)
بتاريخ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

ظلت على حالها حتى في اثناء حكم الصليبيين . وكانت لغة البلاد هي العربية حتى في اثناء الحكم العثماني. ولم تهدم (بيت المقدس) العربية ولم تمس مقدساتها بسوء . فالحضارة التي عرفتها المدينة ترجع الى الحكم العربي وحده دون سواه . وقد أرخ ذلك مجير الدين الحنبلي في كتابه (الأنس الجليل) باسهاب لا نظير له .

سابعا : كان سكان المدينة المقدسة في اثناء تلك القرون عربا لسانا وحضارة وقلبا ومشاعر . ولم يكن اليهود اكثرية فيها في اي وقت من الاوقات ، خلاف ما ذهب اليه حاييم وايزمن في مذكراته (١٧) ومغالطتهم بأنهم كانوا في المائة الاخيرة اكثرية مردودة من جملة نواح .

فاليهود الطارئون على المدينة نزلوا خارجها . وقلة ضئيلة جدا منهم نزلت داخلها . والقدس القديمة هي التي أعاد العرب بناءها وانشأوا فيها المساجد والمدارس والاسواق والاحياء . وما تملكه اليهود فيها نسبة لا يؤبه لها ولا يحتفل بها ــ اذ انها لا تزيد عن ٦ر. في المائة مما يملكه العرب .

وقد ورد في الوثائق الرسمية ان عدد العرب في القدس القديمة سنة ١٩٤٧ هو ٣٣٫٦٠٠ نسمة وكان عدد اليهود ٢٫٤٠٠ نسمة فقط (١٨) .

اما اليهود الذين وفدوا على المدينة الجديدة فقد دخلوها

---

١٧ ــ الترجمة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٤٥ .
١٨ ــ تقرير جون مارتن اثبته عارف العارف في (المفصل في تاريخ القدس) ، القدس ١٩٦١ ، ص ٤٣٠ .

بحيل مختلفة في اثناء الحكم العثماني وفي عهد الانتداب الظالم. وعدد كبير منهم عدته حكومة الانتداب نفسها مهاجرين غير شرعيين لمخالفتهم قوانين الهجرة . والاراضي التي نزلها هؤلاء المهاجرون غير الشرعيين اراض عربية اقتطعت من القرى العربية .

والدليل على ذلك ان رؤساء بلدية القدس ـ العمد او المحافظين ـ كانوا طوال المائة سنة الاخيرة عربا (١٩) ، مع تشدد الحكومة في الاحصاء وفي الانتخابات ، لانحيازها دوما الى اليهود .

والزيادة التي يدّعيها اليهود ـ مع عدم شرعيتها ـ مردها الى اهمال احصاء سكان القرى العربية المحيطة بالمدينة . ومع ان اراضي المدينة الجديدة من القرى العربية نفسها فان اليهود كانوا يصرون على حرمان سكان تلك القرى من التصويت كي يفوزوا برئاسة المدينة . ولكنهم لم يحققوا امنيتهم ، وظلت المدينة عربية كلها ، قديمها وجديدها ، عربية بعدد سكانها وبرئاستها ، وبما يحيط بها من قرى آهلة بالسكان ، رغم جميع الحيل والألاعيب . وتبين الاحصاءات ان اليهود لم يملكوا الى سنة ١٩٤٧ اكثر من ٢٥ ٪ من المدينة كلها .

ثامنا : ان حكومة الانتداب التي التزمت بسياسة

---

١٩ ـ وهم على التوالي : حسين سليم الحسيني ، موسى كاظم الحسيني ، راغب النشاشيبي ، مصطفى الخالدي ، حسين فخري الخالدي ، منذ سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٨ .

(الوطن القومي) لم تأخذ بالحجة اليهودية ، ولم توص يوما « بتهويد » المدينة المقدسة . واقصى ما ذهبت اليه التوصية « بتدويل » المدينة ، ولو ثبت لليهود ما ادعوا من اكثرية لكانت حكومة الانتداب اول من جاراهم وحقق اطماعهم .

تاسعا : ان اليهود استولوا سنة ١٩٤٨ على مدينة القدس الجديدة ، وقسم كبير منها عربي ، بل فيها احياء جميع اصحابها وقاطنيها عرب ، مثل حي النبي داود ، وحي الطوري ، وحي البقعة التحتا ، وحي البقعة الفوقا ، وحي القطمون ، وحي شنلر ، وما اليها . واستيلاء اليهود على هذه الاحياء العربية، وانتزاعها من اصحابها ، لا مسوّغ له ولا سند في اي بلد متحضر .

واذن فحق العرب في المدينة الجديدة كحقهم في المدينة القديمة لا ينقضه غزو مسلح وتآمر مدبر . والقدس الجديدة جزء لا يتجزأ من القدس القديمة .

يضاف الى ذلك ان القرى العربية المحيطة بالقدس ، مثل بيت صفافا وشرفات والمالحة وعين كارم وبتير وغيرها التي ضمّها اليهود اليهم ، وعدّوها بعد غزو ١٩٤٨ جزءا من المدينة الجديدة ، هي عربية صرف. وقسم منها ارض موقوفة على المسجد الأقصى (٢٠) ، ولا يجوز التعدي عليها ، في نظر الامم المتحضرة . وفي المدينة الجديدة وقراها مساجد وكنائس للعبادة هي ملك الله تعالى لا ملك العباد . والاعتداء

٢٠ ــ لمعرفة الاراضي الموقوفة انظر الانس الجليل لمجير الدين الحنبلي .

عليها اعتداء على الاسلام والمسيحية ، واستهانة بالمقدسات الدينية التي اجمع العالم على صيانتها واحترامها .

عاشرا : ان البراق الشريف المسمى عند اليهود بحائط المبكى والذي يجعله اليهود ركيزة لدعواهم بحق الاستيلاء على المدينة القديمة هو اثر اسلامي صرف . وقد ثبت ذلك ثبوتا قاطعا للجنة الدولية التي حققت في هذا الموضوع سنة ١٩٣٠ ، ونظرت في جميع الوثائق والبيّنات التي قدمت اليها من قبل العرب واليهود وحكومة الانتداب ، ثم اصدرت حكمها بالنص التالي : « واننا نوجز فيما يلي الاستنتاجات التي توصلنا اليها ، بالاستناد الى الاستدلالات والشهادات التي اشرنا اليها فيما تقدم. **للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من املاك الوقف . وللمسلمين ايضا تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب احكام الشرع الاسلامي لجهات البرّ والخير** » (٢١) .

ولا يستطيع اليهود ان يطعنوا في هذا الحكم لان اللجنة التي اصدرته دولية مؤلفة من عضو من اسوج وعضو من النمسه وعضو من هولنده ــ وهي دول غربية مسيحية لا مطعن لليهود في نزاهتها ونواياها ــ ولان مجلس جمعية

٢١ ــ تقرير اللجنة الدولية المقدم الى عصبة الامم عام ١٩٣٠ ، من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٠٥ ــ ١٠٦ .

الامم وافق في ٥ ايار (مايو) سنة ١٩٣٠ على تأليف هـذه اللجنة الدولية ، ولان اليهود انفسهم اقروا بصلاحيتهـا ، وانابوا عنهم باسم رئاسة الحاخامين في فلسطين ، وجمعية الحاخامين العالمية ، والوكالة اليهودية لفلسطين ، والمجلس الملي اليهودي ، وجمعية اغودات اسرائيل ، ثلاثة وكلاء هم المحامي مردخاي الياش ، والمستوطـن القديم داود يلين ، والحاخام موشي بلاو (٢٢) .

ولا بد من ان نؤكد امرين . الاول : ان اليهود استماتوا في الدفاع عن الحائط ، وقدموا جميع ما في حوزتهم مـن وثائق ، على الصعيد المحلي والعالمي ، سواء أصدرت مـن المحاكم الشرعية ام من الدولة العثمانية . والثاني : ان دولة الانتداب ، الوفية لوعد بلفور ، اقرّت الحكم ونفذتـه ، وان اليهود التزموا به ، مقرين بنزاهة اللجنة وعدالتها ..

حادي عشر : واذا كان الحال كذلك ، واذا كان اليهـود قد استولوا على القدس الجديدة ــ وهي القسم الاكبر والاغنى والاجدد ــ فما الذي يحملهم على الاستماتة في ضمّ القدس القديمة اليهم ــ وهي القسم الاصغر المليء بالآثار المسيحيـة والاسلامية والذي خلا خلوا تاما من الالفين والنصف الف من اليهود ؟.

الحقيقة ان الحافز مادي صرف ثم اخيرا ديني . فهم اولا : يبغون مدّ حدود دولتهم تنفيذا لمخططهم الاستعماري « المرحلي » حتى تتم لهم من النيل الى الفرات . وهم ثانيا :

---

٢٢ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

يبغون الاستيلاء على اراضي العرب وبيوتهم بلا ثمن ولا اجر، بحكم قوانين جائرة اقسى من قوانين محاكم التفتيش التي ذاق مرارتها اجدادهم في اواخر القرون الوسطى .. وهم ثالثا : يحصنون مملكتهم بالاستيلاء على جبال القدس المنيعة المشرفة على غور الاردن ، ومنفذ الجزيرة العربية ، والمتحكمة بطرق المواصلات بين الشمال والجنوب والشرق والغرب . وهذا في راينا راس اهدافهم . وهم رابعا : يستولون على ما تدرّه المدينة التاريخية القديمة من ريع السياحة ، ويحرمون العرب من مصدر من اكبر مصادر معاشهم . وهم خامسا واخيرا : يستهوون المغفلين من اليهود ونصارى الغرب الذين ما زالوا يعتقدون بحرفية العهد القديم ، ويؤولون نصوصه حسب اهوائهم . ومن العجب ان بعضهم يقول لنا : « ان الدين ليس جغرافيا . وما عليكم لو صلّيتم حيث انتم في القدس ام في خارج القدس ! » . وهؤلاء هم المغفلون المفروضون حقا. ولم لا يقولون هذا لسادتهم اليهود فيحسموا الخلاف من اساسه . اليس منبع الشر الحقوق التاريخية لشعب الله المختار ، والوعود المزعومة في العهد القديم ؟ ولم يكون الدين جغرافيا عند اليهود ولا يكون جغرافيا عند العرب ، مسيحيين ومسلمين ؟ انه لمن المؤسف ان اليهود استطاعوا ان يجرّوا المغفلين من لحاهم الى الهاوية ، وان يعبثوا بعقول السذج من الشعوب الطيبة .

واخيرا : يتوهم بعض الناس ان مدينتنا المقدسة التي نصرّ على عروبتها هي القدس القديمة التي يضمها السور . وهذا خطأ . فبيت المقدس تشمل جميع المدينة القائمةاليوم، بشطريها القديم والجديد ، وبما يجاورها من قرى عربية .

وقد حدد ذلك مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل (٢٣) فقال : « واما الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفا مما يلي القبلة يطلق عليه عمل القدس الشريف ويسوغ لقضاته الحكم فيه . فمن القبلة (الجنوب) عمل بلد سيدنا الخليل ، عليه الصلاة والسلام، يفصل بينهما قرية (سعير) (٢٤) وما حاذاها، وهي من عمل القدس . ومن الشرق نهر الاردن ، وهو المسمى بالشريعة . ومن الشمال عمل مدينة نابلس ، يفصل بينهما قرية سنجل وعرورة (٢٥) ، وهما من اعمال القدس . وتتمة الحدّ راس وادي بني زيد . وهم من اعمال الرملة . ومن الغرب مما يلي رملة فلسطين قرية (بيت نوبة) (٢٦) ، وهي من اعمال القدس . ومما يلي مدينة غزة قرية (عجور) (٢٧) ، وهي من اعمال غزة » . واضح من هذا التحديد ان مدينتنا المقدسة اوسع من مملكة يهوذا كلها التي عاد اليها اليهود بعد السبي وكانت عاصمتها اورشليم (٢٨) .

وبديهي ان حدود المدينة لم يكن واحدا في جميع

---

٢٣ ــ ج ٢ ، ص ٤٣٠ .

٢٤ ــ سعير ما تزال قائمة بالقرب من حلحول شمال شرقي الخليل .

٢٥ ــ سنجل وعرورة تقعان في منتصف الطريق تقريبا ما بين القدس ونابلس .

٢٦ ــ تقع شمال شرقي اللطرون وتكتب نوبا .

٢٧ ــ شمال شرقي بيت جبرين .

٢٨ ــ انظر N. Barbour, Nisi Dominus, P. 15.

العصور . ومن المؤكد ان حدودها في العهد العثماني وفي زمن الانتداب لم تتطابق . ومع ذلك فان الحدود التي ذكرها مجير الدين كانت مقبولة في زمنه عرفا وشرعا . ولذا فهي حدود مدينتنا المقدسة .

ونسأل : وما حدود اورشليم التاريخية ؟ والجواب ان تلك المدينة دمّرت تدميرا تاما غير مرة حتى يصعب تحديدها. دمّرها نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق.م. ودمّر هيكلها انطيوخوس ملك المكدونيين سنة ١٧٠ ق.م. ودمّرها تيطوس الروماني سنة ٧٠ م. ودمّرها هادريانوس سنة ١٣٥ م. ومنذ ذلك الحين زالت من الوجود ولم يبق لها اثر .

وما حدود تلك المدينة التاريخية زمن داود وسليمان ، في عصرها الذهبي الذي يرمز الى وحدتهم واستقلالهم ، والذي يتخذونه تكأة للاستيلاء على مدينتنا المقدسة ؟ لقد اعجزتنا المصادر الكثيرة التي عدنا اليها عن الاجابة . ورأينا اخيرا ان نلتمس الجواب من العهد القديم ومن دائرة المعارف اليهودية التي افردت للمدينة بحثا يقع في ٤٠ صفحة . ويحدثنا هذان المصدران ان داود اخذ المدينة من اليبوسيين، واذن فهي لم تكن من انشائهم . وماذا اضاف داود اليها ؟ وتجيب دائرة المعارف اليهودية :

The city at this epoch may have extended to the south western hill; but it is not clear what enlargement were due to David. In Sam. V. 9. it is said that he built « round about from Millo and inward ». The Millo, however, was built by Solomon (I Kings IX. 15, 24); and the reference at the time of David may be to the place where

in later times the Millo was. Whether the latter was part of the wall or a citadel is not known ».

ولفظة Millo ـ التي قصد بها التعمية ـ تعني « مستديرا » حسب ما ورد في العهد القديم : « وبنى داود في الحصن ـ اي حصن صهيون الذي اخذه من اليبوسيين ـ مستديرا من القلعة فداخلا » (٢٩) .

ويضيف العهد القديم : « وارسل حيرام ملك صور رسلا الى داود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداود بيتا » . اذن كل ما اضافه داود الى مدينة اليبوسيين « مستدير » و « بيت » .

وماذا اضاف سليمان ؟ تقول دائرة المعارف اليهودية :

« Under Solomon the city took on a much grander aspect. There is no definite reference to a wall surrounding it, a part of which seems to have been the Millo mentioned above. This wall must have enclosed some portion left open by David. Solomon erected a palace made up of various buildings, which took thirteen years to build. »

وخلاصة النص ان المدينة اتسعت زمن سليمان ، وان سليمان بنى قصرا ذا ابنية مختلفة استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما . ثم تحاول دائرة المعارف اليهودية ان تحدد المدينة .

ونعود الى العهد القديم فنجده يفصل ما اوجزته او سترته دائرة المعارف . « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر واخذ بنت فرعون واتى بها الى مدينة داود الى ان اكمل بناء

---

٢٩ ـ صموئيل الثاني ٥/١٠ .

بيته وبيت الرب وسور اورشليم حواليها » (٣٠) . ثم يسهب العهد القديم في وصف بيت الرب الذي كان على جانب كبير من الاتساع والروعة والجمال . وتختم دائرة المعارف وصفها قائلة :

« After the partition of the kingdom Jerusalem suffered many vicissitudes ».

اي ان المدينة عانت كثيرا من صروف الدهر بعد انقسام المملكة!

ونحن نرجح ان اورشليم في عصرها الذهبي لم تتجاوز حدود المدينة الحالية (٣١) وانه لم يضف اليها اليهود كثيرا من الابنية ، باستثناء الهيكل . ولنا على ذلك دليلان الاول ان المدينة تحيط بها اودية من جميع جهاتها . وهذه الاودية تكوّن حدودا طبيعية للمدينة ، لا سيما في العصور القديمة التي كانت تضع الامن في المرتبة الاولى عند اقامة حدودها . والثاني ان السور العثماني قائم في بعض جهاته ـ على الاقل ـ على اسس قديمة لاسوار متقادمة العهد ، كما هو واضح من حفريات باب العمود (باب دمشق) . وهذا امر طبيعي . وفي العهد الجديد ما يبيّن ان السيد المسيح صعد الى المدينة ودخل من ابوابها التي نرجّح مطابقتها للابواب الحالية .

والنتيجة ان حدود اورشليم البائدة كانت اقل مما يطمع اليهود ، في حين كانت بيت المقدس مدينة واسعة

---

٣٠ ـ الملوك الاول ٣/١ .

٣١ ـ تقول دائرة المعارف اليهودية :

The modern city of Jerusalem practically covers the site of the ancient city, p. 150.

مترامية الاطراف على نحو ما ذكر مجير الدين الحنبلي .

وبعد ، فان مدينة القدس عربية ، منذ عرفت في التاريخ الى ان غزاها الاسرائيليون حديثا وجثموا على صدرها ، عربية دنيا ودينا ، سكانا ومنازل ، ذكريات وواقعا ، شرعا وعرفا . ولن يتخلى عنها اهلها ولن يخذلوها . واهلها هم جميع العرب، مسلمين ومسيحيين ، في المشارق والمغارب .

(٢)

اسماء بيت المقدس

اني لا استطيع ان اكتم شعوري نحو مدينتي الحزينة المتشحة بالسواد . وانه ليطيب لي ان اردد ذكرها صباح مساء ، وان اسبح بحمدها ، وان اصف محاسنها ، وان اذكر اسماءها وتاريخها وعلماءها وادباءها ومساجدها وكنائسها ، وكل ما يتصل بها من قريب او من بعيد . اليست هي مسقط راسي ، وموطن آبائي واجدادي ، ومهبط الانبياء ، ومنبع الرسالات والقبلة التي تتجه نحوها قلوب المؤمنين . ليس في العالم كله مدينة تحاكيها في ما اجتمع فيها من آثار مقدسة، منذ اربعة آلاف سنة الى اليوم ، ولا في ما تثيره في اعماق النفس من مشاعر الاجلال والتقديس ، ولا في ما تبعثه في القلب من انس وبهجة .

لقد سبقني ابن مدينتي الحزينة (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري المقدسي) ، المولود فيها ، الى وصفها في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) في القرن الرابع الهجري ، امام جمع من العلماء في مدينة البصرة ، فقال : « قلت : اما قولي اجل مدينة فلأنها جمعت الدنيا والآخرة . فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها ، وان كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها . واما طيب الهواء فانه

لا سم لبردها ، ولا اذى لحرها . واما الحسن فلا ترى احسن من بنيانها ولا انزه من مسجدها . واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال ، والاشياء المتضادة كالاترج والرطب والجوز والتين والموز . واما الفضل فلانها عرصة القيامة ، ومنها المحشر واليها المنشر . وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي ، ويوم القيامة يزفان اليها، فتحوى الفضل كله. واما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون اليها. فاي ارض اوسع منها ؟ فاستحسنوا ذلك واقروا به » (١) .

وان وجد في هذا الوصف غلو فمرده الى الوفاء لامنا الارض الطيبة . وصدق الزمخشري حين قال :

احب بلاد الله شرقا ومغربا الى التي فيها غذيت وليدا

وبعد فلهذه المدينة المقدسة اسماء كثيرة وردت في كتب المؤرخين والجغرافيين، منها يروسالم ويروشالايم وشلم (بفتح الشين وتشديد اللام المفتوحة) وشلم (بفتح الشين وكسر اللام) وشلم (بفتح الشين واللام) وسلم (بفتح السين واللام) ويبوس وصهيون وموريا وايلياء وبيت المقدس والقدس وما اليها . فما معنى هذه الاسماء ، وما سبب كثرتها ، وما صواب نطقها ؟.

١ ــ تذكر معاجم (الكتاب المقدس) ان اقدم اسم للمدينة ورد في « نصوص الطهارة » Execration Texts المصرية ، في القرن التاسع عشر قبل المسيح ، بصورة « يوروشاليم » . وكانت يومذاك مركزا لعبادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل بني اسرائيل . والراجح ان الاسم مركب من كلمتين :

١ ــ طبع ليدن ، ١٩٠٦ ، جزء ١ ، ص ١٦٥ .

يورو وشاليم . ويورو معناها تأسيس او مدينة وشاليم اسم اله كان الكنعانيون يعبدونه (٢) ، والتفسير بأن معناها مدينة السلام غير دقيق لا من ناحية الاشتقاق ولا من ناحية التاريخ.

وورد ذكرها في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م. باسم يوروسالم Urusalim ، ثم بعد ذلك في النقوش الاشورية اوروسليمو Urusilimu (٣) ووروداها بالشين حينا وبالسين حينا آخر مألوف في اللغات السامية . فهذان الصوتان يتعاوران . ولهما امثلة كثيرة اقربها شلوم وسلام ، وشم واسم في العبرية والعربية .

٢ ــ واقدم اسم لها في (العهد القديم) هو شاليم . والراجح انه اختصار للاسم الكامل يورو شاليم . وجاء ذكرها في سفر التكوين ــ اول اسفار العهد القديم ــ بمناسبة قدوم ابرام ــ ابراهيم ــ العبراني الى ارض الكنعانيين ، منتصرا على اعدائه ، اذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم « ملكي صادق ملك شاليم . اخرج خبزا وخمرا . وكان كاهنا لله العلي . وباركه وقال : مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض . ومبارك الله العلي الذي اسلم اعداءك في يدك . فاعطاه ــ ابراهيم ــ عشرا من كل شيء » (٤) .

---

٢ ــ Lexicon Invetris Testamenti Libros, Leiden 1951, P. 403.

٣ ــ The Interpreters Dictionary of the Bible, New York, 1962.

٤ ــ ١٤/١٨ .

وقول مجير الدين الحنبلي في (الانس الجليل) (٥) : « ان سفينة نوح سارت حتى بلغت بيت المقدس ، وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الانبياء من اولادك. وقوله : ان سام بن نوح هو اول من بناها ، وكان ملكا عليها ، وكان يلقب (ملكيا صادق) وانه سماها يروشلم بمعنى بيت السلام » . كل ذلك يحتاج الى تصحيح . فملكي صادق ليس هو سام بن نوح. ويروشلم ليس معناها بيت السلام ، كما مرّ .

ومن المحتمل ان المؤرخ أبا الفرج المعروف بابن العبري ــ المتوفي سنة ١٢٨٦ م ــ هو مصدر مجير الدين . فقد ذكر في كتابه (مختصر الدول) ان ملكي صادق هو الذي بنى (قرية السلام) (٦) . ونقل عن مجير الدين وابن العبري مؤرخون محدثون .

٣ ــ وثاني اسم لها في العهد القديم «اورشليم» ، وهو الاسم الكنعاني القديم قبل قدوم العبرانيين الى ارض كنعان. وورد ذكرها اول مرة في سفر يشوع (٧) حين « سمع ادوني صادق ، ملك اورشليم ان يشوع ــ يشوع بن نون الذي رافق موسى في خروجه من مصر ، وكان احد اثنين سلما من التيه ودخلا البلاد المقدسة ــ قد فتح بعض البلدان الكنعانية ــ وان سكان جبعون صالحوا اسرائيل ، فاجتمع ملوك الاموريين الخمسة ، ملك اورشليم وملك حبرون.. ونزلوا على جبعون وحاربوها » . واذن كانت اورشليم تطلق على مملكة الاموري

٥ ــ القاهرة ١٢٨٣ هـ ، ص ٩ .
٦ ــ ص ١٦ .
٧ ــ ١٠/١ ــ ٥ .

ادوني صادق . ثم يرد الاسم ثانية في سفر القضاة (٨) حين حارب بنو اسرائيل الكنعانيين واخذوا اورشليم وضربوها بحد السيف ، واشعلوا المدينة بالنار . وحين ظهر الملك داود وحارب الفلسطينيين ، اولا جنديا في جيش شاؤل (٩) نراه يدفن احد الفلسطينيين في اورشليم، ثم بعد ان اغتصب الملك من شاؤل ذهب الى اورشليم الى اليبوسيين ، وفتحها واتخذها عاصمة ملكه مدة ثلاث وثلاثين سنة ، ووحد اسرائيل ويهوذا (١٠) ، وشرع في بناء الهيكل الذي اتمه بعده ابنه سليمان ، ونقل اليه تابوت العهد . وامست المدينة منذ ذلك الحين، مقدسة في نظر اليهود. ولكن النطق العبري لأورشليم هو « يروشالايم » والظاهر ان اليهود حرّفوا الاسم او عبرنوه حتى يتوهم الناس ان المدينة عبرانية الاصل . وقد تكون اللاحقة للتثنية كقولهم مصرايم ــ اي المدينتان ــ في العبرية، وقد تكون للمكان . ولكن هذه العبرنة لم توجد عند جميع اليهود . فكعب الاحبار ، مثلا ، يسميها « أوري شلم » في حديثه عنها الى عمر بن الخطاب ــ حسب رواية ابن جرير الطبري (١١) ــ ويذكر محمد بن عبد الله الزركشي في (اعلام الساجد بأحكام المساجد) ان اسمها اورشلم حسب رواية ابي عبيدة معمر بن المثنى . وانشد الاعشي .

وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فاورشلم (١٢)

٨ ــ ٨/١ .
٩ ــ صموئيل الاول ٣٥/١٥ ، ٥٨/٦٧ .
١٠ ــ صموئيل الثاني ٥/٥ .
١١ ــ التاريخ ١٦١/٤ .
١٢ ــ ص ٢٧٨ .

وفي كلتا الروايتين لا ذكر للاحقة (يم) ، ويدعم هـذا الراي ان النطق اليوناني القديم Hierousalim وما تبعـه في اللغات الاوروبية Jerusalem يخلو من هذه اللاحقة . وايـد ذلك ايضا مؤلف الـ Encyclopedia Biblica قائلا : ان هـذه الصورة ـ اي باثبات اللاحقة (يم) ـ اختارها الـ Messorates وحدهم ـ اي رجال المازورة الذين اثبتوا نص العهد القديم في ما بين القرن السادس والعاشر الميلادي (١٣) ـ وعلى كل حال ، فالاسم كنعاني قديم ، والمدينة كنعانية قديمة ، وجدت قبل داود بنحو تسعمائة سنة . وبداية الاسم بالياء بالعبرية مطابق للنطق الكنعاني . وبدايته بالهمـزة على وفق النطـق الاشوري والسرياني والعربي (١٤) .

٤ ـ وثالث اسم لها في العهد القديم هو (يبوس) . جاء في سفر القضاة ١٩/١٠ ان يبوس هي اورشليم . كان ذلك اسمها قبل ان يفتحها داود . ويقول علماء العهد القديم ان هذا الاسم مشتق من اسم قبيلة اليبوسيين التي كانـت تعيش فيها ، كمـا ان باريس مشتقة مـن قبيلة باريسيي Parisi . ولكن ـ كما هو واضح سابقا ـ ليس ذلك اول اسم لها . ولم يتمكن الاسرائيليون من الاستيلاء على المدينـة حين قاتلوا الكنعانيين بقيادة يشوع بن نون . وفتح الملك داود حصن صهيون انهى حكم اليبوسيين (١٥) .

---

١٣ ـ Ency. Biblica, London, 1899, vol. II P. 2407.

١٤ ـ Ibid.

١٥ ـ The Interpreter's Dictionary of the Bible, New York. 1962, P. 807.

٥ ــ ورابع اسم لها في العهد القديم هو «صهيون» (١٦) وهو اصلا اسم الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين ، واقام فيه ، وبنى المدينة حوله . ثم استعمل مرادفا لمدينة داود (١٧) . وربما اشتق الاسم من العبرية ــ صيون ــ بمعنى الارض الجافة ، او من العربية صهوة بمعنى اعلى كل جبل او البرج في اعلى الجبل (١٨) . وتذكر صهيون في الكتب الشعرية وفي كتابة الانبياء بأنها العاصمة الدينية ، والمكان الذي يمتحن به الرب المؤمنين (١٩) . ويقارن سكان صهيون في سفر عاموس بسكان السامرة (٢٠). وكثر استعمال الاسم في العهد القديم واضحى رمزا الى ما يرجوه شعب اسرائيل من الله من الحماية والصيانة في خدمته(٢١) . واشاد اليهود بذكره . جاء في المزامير : «والرب احب ابواب صهيون اكثر من جميع مساكن يعقوب . قد قيل بك امجاد يا مدينة الله » (٢٢) . وصار مسكن الرب. «والرب من صهيون يزمجر ، ومن اورشليم يعطي صوته فترجف السماء والارض .. أفتعرفون اني انا الرب الهكم ساكنا في

١٦ ــ صموئيل الثاني ٥/٦ ــ ١٠ واخبار الايام الاول ١١/٥ .
١٧ ــ الملوك الاول ٨/١ و ١١/٥ .
١٨ ــ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن، ١٩٠٦ ، جزء ١ ص ١٦٥) .
١٩ ــ اشعيا ٢٨/١٦ .
٢٠ ــ عاموس ١٦/١ .
٢١ ــ قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست . بيروت ١٨٩٤ ، ص ٢٣ .
٢٢ ــ ٨٧/٢ .

صهيون جبل قدسي ، وتكون اورشليم مقدسة ، ولا يجتاز فيها الاعاجم في ما بعد » (٢٣) . ومن هنا نسب الاسرائيليون السياسيون الداعون الى اقامة دولة في فلسطين العربية حركتهم الى صهيون ، بعد مضي نحو ثلاثة آلاف سنة على حكم داود . ويبحث علماء الآثار الآن عن جبل صهيون والمدينة والمؤكد عندهم ان جبل صهيون لا يقوم في الجهة الجنوبية الغربية من بيت المقدس كما كان يعتقد المسيحيون منذ القرن الرابع الميلادي ، وانما على قمة التلة الشرقية(٢٤) . وعلى كل ان الرومان في القرنين الاول والثاني بعد المسيح ، هدموا المدينة والهيكل ، حتى اصبحا اطلالا . والبحث عنهما بقصد اعادتهما يدعو الى قلب الارض رأسا على عقب ، حقيقة ومجازا .

٦ ــ وخامس اسم لها هو « مدينة داود » جاء في صموئيل الثاني ٥/٧ « واخذ داود حصن صهيون ، هي مدينة داود » . وورد الاسم مرارا في العهد القديم مرادفا لصهيون (٢٥) .

٧ ــ وسادس اسم لها هو : « اريئيل » ، كما ورد في سفر اشعياء ٢٩/١ « ويل لأريئيل لأريئيل قرية نزل عليها داود » . « ومعنى الاسم اسد الله او مسكن الله » (٢٦) .

٢٣ ــ يوئيل ٣/١٦ ــ ١٧ .

٢٤ ــ The Interpreter's Dictionary of the Bible, P. 959.

٢٥ ــ صموئيل الثاني ٥/٧ اخبار الايام الاول ٥/١١ ، الملوك الاول ٨/١ الخ .

٢٦ ــ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

٨ ــ وسابع اسم لها هو « موريا » . ويطلق الاسم على التل الصخري حيث بنى سليمان الهيكل . جاء في اخبار الايام الثاني ٣/١ « شرع سليمان في بناء بيت الرب ، في اورشليم، في جبل المريا حيث تراءى لداود ابيه، حيث هيأ داود مكانا في بيدر ارنان اليبوسي » . وهذا الجبل هو الذي امر الله ابراهيم ان يصعد اليه ليذبح ابنه اسحق امتحانا له ، ثم منعه ، حسب ما ورد في سفر التكوين (٢٧) . ويحتمل ان يكون اشتقاق الاسم من مادة رأي العبرية والعربية ــ فيكون المعنى ارض الرؤية (٢٨) .

هذه هي الاسماء التي وردت في العهد القديم . على ان اسم اورشليم هو الأشيع منذ فتح داود المدينة الى منتصف القرن الثاني للميلاد . وقد تكرر ذكره في ثلثي العهد القديم ونصف العهد الجديد . وهو الذي قدّسه الاسرائيليون ودار على السنتهم وترنموا به في شعرهم . ومن ذلك ما جاء في المزمور المائة والسابع والثلاثين :

« كيف ترنم ترنيمة الرب في ارض غريبة ؟
ان نسيتك يا اورشليم تنسى يميني
ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك
ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي »

ويقول الفرد ليلينتال اليهودي المعارض للصهيونية في كتابه (ثمن اسرائيل) : ان فكرة دولة اسرائيل بقيت حية في كلمات هذا المزمور ، وان منها نبتت بذور الصهيونية الوطنية،

٢٧ ــ ١/٢٢ ــ ١٤ .
٢٨ ــ المصدر رقم (١) ، جزء ٣ ، ص ٤٣٨ .

مع ان انبياءهم عاموس وارميا وميخا واشعياء لم يوجهوا اهتمامهم الى استعادة السلطة الزمنية وانما حصروه في دفع الظلم عن بني قومهم ، وحثهم على عبادة الله والتمسك بالفضيلة (٢٩) .

واورشليم التاريخية قد اندثرت ، وحلت محلها القدس المسيحية ، ثم بيت المقدس الاسلامية . واذا كانت مقدسة في نظر ١٨ مليون اسرائيلي ، فهي مقدسة في نظر تسعمائة مليون مسيحي وستمائة مليون مسلم .

ولم يسع المعري ، وهو المتعالي عن السفساف ، الا ان يقول (٣٠) :

ترجو يهود المسيح يأتي وتأمل الدهر ان يهودا !
وكيف ترعى لهم عهود من بعد ما ضيعوا العهودا ؟
وكل ما عندهم دعاو حتى يقيموا به الشهودا
غدوا واشياخهم لجهل كولدة اوطنوا المهودا
وليس بيتي على الروابي وانما آلف الوهودا

٩ ــ وثامن اسم لها هو ايلياء ، وزن كبرياء ، او ايليا ونادرا اليا ، وهو اول اسم لها بعد العهد الاسرائيلي . ولذا لا ذكر له في العهد القديم . واشتقاقه من اسم الامبراطور الروماني Aelius Hadrianus ــ الذي عاش من سنة ٧٦ــ١٣٨ م . وهو الذي هدم مدينةاورشليم للمرة الثانية ، وبعد تيطوس الروماني الذي هدمها سنة ٧٠م. وبنى هدريانوس

٢٩ ــ بيروت ١٩٥٤ ، ص ٧ ــ ٨ .
٣٠ ــ اللزوميات ، مصر ١٨٩١ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

مكانها سنة١٣٥م مدينةاسماها باسمهالاول Aelia Capitolina ـ اي ايليا العظمى ـ ليمحو من الوجود كل اثر يهودي فيها .

وحاول المؤرخون العرب ان يفسروا معنىالاسم . فقال البكري في « معجم ما استعجم » (٣١) : انمعناه « بيتالله »، وتبعه ياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٣٢) فأورد ثلاثة وجوه : بيت الله ، والارض الحزن ، وانها سميت باسم بانيها ايلياء بن ارم بن سام بن نوح . وتبعهما مجير الدين الحنبلي ، فقال في (الأنسالجليل) : معناه بيت الله المقدس. وهذا اجتهاد محمود من علمائنا الذين ارادوا ان يقفوا على بواطن الامور ، ويفسروا معاني الاسماء ، وان جانبهمالصواب احيانا . وربما حملهم على التفسير الاول بداية الاسم بايل ، ومعناها الله . ولم يفطن ياقوت الى ان ايليا اسم روماني اصلا فربطه بايلياء بن أرم بن سام .

ظل اسم ايلياء سائدا نحو مائتي سنة ، الى ان جاء الامبراطور قسطنطين المتوفي سنة ٣٣٧ م ـ وهو اول من تنصّر من اباطرة الرومان ـ فالغى اسم ايلياء واعاد اسم اورشليم . ولكن الظاهر ان ايلياء شاع وظل مستعملا . فالعهدة العمرية صدرت بعبارة « هذا ما اعطى عبد الله عمر اهل ايلياء من الامان » ، بالنص الذي اثبته ابن جرير الطبري في تاريخه (٣٣) ، وابن هشام في سيرته ، والبلاذري في

---

٣١ ـ طبع غوتنجن ١٨٧٧ .
٣٢ ـ ج ١ ، ص ٣٩٢ .
٣٣ ـ الطبعة الاولى بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

« فتوح البلدان » ، والبكري في « معجمه » وياقوت في « معجم البلدان » ، يذكرون ايلياء . ويستشهد ياقوت ببيت للفرزدق هو :

وبيتان ، بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى ايلياء مشرف

وبيت آخر لأعرابي :

فلو ان طيرا كلفت مثل سيره الى واسط من ايلياء لكلت (٣٤)

ومع ذلك ورد في نص اثبته الطبري على لسان كعب الاحبار وهو يتحدث الى عمر بن الخطاب عن بيت المقدس اسم « اوري شلم » . وكان كعب يكره اسم ايلياء ، ويؤثر اسم « بيت الله المقدس » (٣٥) . وهو امر طبيعي .

١٠ ـ وتاسع اسم هو بيت المقدس ، وهو الاسم الذي شاع بعد الفتح الاسلامي . واختلف في تخريج المقدس ، مع اجماع على انه من مادة قدس بمعنى الطهارة . فذهب ابو علي الفارسي (٣٦) الى انه يحتمل ان يكون مصدرا كقوله تعالى : « اليه مرجعكم جميعا » ونحوه من المصادر . ويحتمل ان يكون مكانا على معنى انه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة ، او بيت مكان الطهارة ، وتطهيره اخلاؤه من الاصنام ، وقال ابن منظور في اللسان : القدس السطل بلغة اهل الحجاز ، لانه

٣٤ ـ ج ١ ، ص ٣٩٢ .
٣٥ ـ اعلام المساجد للزركشي . القاهرة ١٣٨٥ هـ ؛ ص ٢٧٧ .
٣٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

يتطهر فيه . ومن هذا بيت المقدس اي بيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب . والقدس : البركة . والارض المقدسة . الشام منه . وبيت المقدس من ذلك ايضا . فاما ان يكون على حذف الزائد ، واما ان يكون اسما ليس على الفعل ، كما ذهب اليه سيبويه في المنكب ، وهو يخفف ويثقل . ولم يرد في المحيط وتاج العروس اضافة . بل ان التاج اغفل بيت المقدس كلية .

وهذه الشروح تحدث وسوسة ، لا سيما ذكرها على وجه الاحتمال . ونقول اجتهادا ، واحتمالا ايضا ، لعل الاسم منقول عن النصوص الواردة في العهدين ، القديم والجديد . ففي المزامير جاء في النص العبري « عير الوهيم » ، وترجمت في النص العربي « مدينة الله » (٣٧) وفي سفر نحميا جاء في النص العبري « عيرها قدس » وترجمت في النص العربي « مدينة القدس (٣٨) وفي انجيل متى ورد في النص العربي : « المدينة المقدسة » (٣٩) ، يقابله في النص السرياني « بيت مقديشو » اي بيت المقدس . واذا صح استقراؤنا يكون الاسم منقولا عن نصارى السريان .

والذي يرجح هذا الاحتمال امران : الاول اننا تتبعنا مادة قدس في القرآن الكريم ، وفي الاحاديث النبوية ، وفي المعاجم القديمة ، فلم نجد فيها ذكرا لقدس الثلاثي ومشتقاتها . وورد فيها جميعا وزنا قدّس وتقدّس حسب . والثاني ان الذوق العربي لا يستسيغ تركيب بيت المقدس بمعنى « بيت

٣٧ — ٤/٤٦ .
٣٨ — ١/١١ .
٣٩ — ٥٣/٢٧ .

المكان الذي جعل فيه الطهارة او بيت مكان الطهارة » بتكرير المكان ، كما خرجه الواحدي رواية عن ابي علي الفارسي (٤٠).

اما القدس ، وقدس‌الاقداس ، والمقدس ، فالفاظ شائعة في العهد القديم . وهي ، بلا شك ، مشتقة اصلا من مادة قدس السامية بمعنى طهر او حرم (٤١) . وهي ذات دلالة دينية . فالقدس هو مكان في الهيكل يتعبد فيه الكاهن ، ويفصل بينه وبين قدس الاقداس حجاب . وقدس الاقداس هو المذبح ، وهو متعبد كبير الاحبار . وفي سفر اللاويين ينهي الرب هارون عن دخول القدس كل وقت داخل الحجاب امام الغطاء الذي على التابوت لئلا يموت (٤٢) . والمقدس مكان القدس . جاء في سفر العدد : « وقال الرب لهارون : انت وبنوك وبيت ابيك معك تحملون ذنب المقدس » (٤٣) .

يضاف الى ذلك ان بيت‌المقدس ترد في المصادر العربية القديمة مرادفة لمسجده ومن ذلك ما رواه النسائي وابن‌ماجه في سننهما مرفوعا الى الرسول عليه‌السلام ، قال : ان‌سليمان ابن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثا ، فأعطاه اثنتين ، وارجو ان يكون قد اعطاه الثالثة . وعن كعب الاحبار ان سليمان بنى بيت المقدس على اساس قديم . وذكر ابن‌هشام في كتاب التيجان ان آدم لما بنى البيت امره جبريل بالمسير

---

٤٠ ـ اعلام الساجد ، ص ٢٧٧ .

٤١ ـ 'The Saurus, Linguae Hebraecae et Chaldacae, Lipsiae. 1840, 11, 1195.

٤٢ ـ ١/١٦ وعدد ٣/١٨ .

٤٣ ـ ١/١٨ .

الى بيت المقدس فبناه ونسك فيه (٤٤) . وجاء في سيرة ابن هشام رواية عن ابن اسحق : ثم اسرى برسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وهو البيت المقدس (٤٥) . وجاء في تاريخ الطبري : ثم قام ـ عمر ـ من مصلاه الى كناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ، زمن بني اسرائيل (٤٦). وفي مسند ابن حنبل حديث مرفوع : « عليك ببيت المقدس فلعله ان ينشأ لك ذرية يغدون الى ذلك المسجد ويروحون»(٤٧).

فهذه النصوص جميعها تجعل بيت المقدس مرادفة للمسجد وفقدان بيت المقدس هو فقدان المسجد الاقصى ، بل فقدان مساجد الله المقدسة في فلسطين كلها .

واطلقت بيت المقدس على المدينة نفسها ، في العهد الاسلامي ، وحلت محل ايلياء الرومانية ، واورشليم الاسرائيلية ، واليهود ـ ممن اسلم او لم يسلم ـ كرهوا اسم ايلياء لما ترمز اليه من جبروت الرومان . واورشليم ـ بأية صورة رويت ـ لا يستسيغها الذوق العربي .

ووردت لبيت المقدس صور مختلفة ، منها البيت المقدس ، وبيت القدس (باسكان الدال) وبيت القدس (بضم الدال) ، والقدس ، والقدس الشريف والمدينة المقدسة . على ان الاسم الاشيع هو بيت المقدس ، ويبدو ان اسم القدس

٤٤ ـ اعلام الساجد ، ص ٢٨٢ .
٤٥ ـ سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٢ .
٤٦ ـ ١٦/٤ .
٤٧ ـ مسند ابن حنبل ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

استعمله اهل الشام واطرافها كما ذكر ناصري خسرو (٤٨) . وكثيرا ما ترد هذه الصور المختلفة في كتاب واحد ، كما نجد، مثلا ، في « معجم البلدان » لياقوت ، و « الانس الجليل » لمجير الدين .

ووردت اسماء اخرى مصدرها اختلاف الترجمة . منها (دار السلام) و (مدينة السلام) (٤٩) و (قرية السلام) (٥٠) . وذكر الفيروز ابادي في محيطه (شلم) (وشلم) (وشلم) (بتشديد وفتح وكسر اللام على الترتيب) وذكر ياقوت (اوريشلم) ، بفتح اللام وكسرها وسكونها . وروى بطرس البستاني في دائرة المعارف (يبوش شليم) او (يبوس سليمان) . وهذه روايات نادرة ولا تخرج عن الاصول التي ذكرناها .

عدّ الزركشي للمسجد الأقصى سبعة عشر اسما ، رواية عن ابن خالويه ، شملت جميع الاسماء التي اثبتناها لبيت المقدس ، عدا ثلاثة ، استدركها الزركشي نفسه ، هي بيت المقدس ، وبيت القدس ، ومسجد ايليا . ومعنى ذلك ان اسم المدينة اطلق على مسجدها الاكبر . والحق مع ابن خالويه، فان المسجد الأقصى ، سواء أكان مسجد عمر أم مسجد الصخرة أم كليهما ، هو قدس اقداس المدينة ، ودرتها

---

٤٨ ــ سفر نامة ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٤٩ .

٤٩ ــ اثبتها سعديا بن يوسف الفيومي المتوفي ٩٤٢ في ترجمته للكتاب المقدس .

٥٠ ــ ذكرها ابن العبري المتوفي ١٢٨٦ في تاريخه .

اليتيمة ، بل هو اثر اسلامي فريد ، عدّه بعض علماء الآثار « اجمل الآثار التي خلدها التاريخ » (٥١)

٥١ — Hayter Lewis, The Holy Places of Jerusalem P. 26.
نقلا عن عارف العارف في كتابه « تاريخ الحرم القدسي » ، القدس ١٩٤٧ ، ص ١٣ .

(٣)

الآثار الاسلامية في بيت المقدس

قبل الفتح العمري

عن عطاء الخراساني قال : « بيت المقدس بنته الانبياء ، وعمرته الانبياء ، ووالله ما فيه شبر الا وقد سجد فيه نبي » وهذه العبارة على ايجازها تختصر تاريخا طوله نحو اربعة آلاف سنة .

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث : الموسوية ، والمسيحية ، والاسلام ، كمدينة بيت المقدس . وبالتالي لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عمرت بالكنس (١) ، والكنائس ، والمساجد ، والديارات ، والزوايا ، والتكايا ، والمدارس والمقابر ، وما الى ذلك من اماكن مقدسة.

واراد المؤمنون ان يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن ، واطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش ، حتى اضحت المساجد والكنائس آيات فنية غاية في الروعة .

ولسنا نعرف الصورة التي كان عليها هيكل ـ مسجد سليمان عليه السلام ـ ولكن اذا قسنا الماضي بالحاضر تبين

---

١ ـ بوزن (فعل) بضمتين : جمع كنيس وهو معبد اليهود.

لنا ان الموسويين كانوا اقل عناية بالتعبير الفني عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين . فالكنس الموجودة في بيت المقدس ، وفي غيرها من بلاد العالم ، معابد بسيطة جدا ، اشبه بمساجد المسلمين في دورها البدائي ، وليس في ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال في المساجد والكنائس. فلا مآذن ولا ابراج ولا اجراس ولا زخارف معينة. وربما يسترعي النظر فيها ضخامة الحجارة والاعمدة ، كما يشاهد في سور الهيكل القديم ــ ان صح انه هو ــ المعروف بالمبكى .

ومعظم الكنس في بيت المقدس كانت واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخي الذي جدد زمن السلطان سليمان القانوني في النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي ، واقدمها يرجع الى بداية القرن الثامن عشر .

وعلى ذلك يصح القول ان معظم الآثار الموسوية في بيت المقدس قد درس ، واضحى ــ بحق ــ كباقي الوشم في ظاهر اليد . على ان الاسلام حافظ على ما بقي منها بعد ان عدّها من آثار انبياء الله المرسلين ، وبالتالي من آثار انبياء الله المرسلين ، وبالتالي من آثار الاسلام نفسه الذي ترجع اصوله الى ابي الانبياء ابراهيم الخليل صلوات الله عليه، وهذا موقف خليق بالتأمل ، فالقرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ، ومحمد عليه السلام جاء خاتم الانبياء ، منذ بداية النبوة الى زمن عيسى بن مريم ، عليهما السلام ، وهذا سر ما يتصف به الاسلام من سماحة وسجاحة . فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ، ويؤمن بكتبهما الصحيحة ، ويحترم كل اثر

من آثار الانبياء بقدر ما يحترم آثاره هو .

ومن اقدم الآثار الموسوية التي رعاها المسلمون وعدّوها جزءا من تراثهم الديني مسجد سليمان ـ وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان ـ ومما يسترعي النظـر في صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهـة الشرق ، وهذه السلسلة تنسب الى سليمان بن داود ، وقد كتب فوق محرابها : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » .

وابلغ من ذلك دلالة ان المسلمين انشأوا مسجدا في مكان يسمى « مقام النبي داود » على ربوة جبل صهيون ، سدنته اسرة مسلمة كبيرة هي آل الداودي نسبة الى داود (والآن تعرف بالدجاني) . ويذهب بعض المؤرخين الى ان في هـذا المقام قبر النبي داود كشمس الدين المقدسي ، ومجير الدين الحنبلي وعبد الغني النابلسي . وفي داخل الحرم ـ الذي يضم المسجدين العظيمين الاقصى والصخرة ـ جامع يسمى جامع قبة موسى ، وجامع يسمى جامع كرسي سليمـان ، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة ، هذا عدا الآثار التي تقع خـارج بيت المقدس ، ومن اشهرها مقام نبي الله ابراهيم في المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير .

ولم يتبن المسلمون اثرا من آثار السيد المسيح ، مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم . ويرجع ذلك الى ان الاماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الاسلامي في حوزة المسيحيين انفسهم ، ونصت العهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك بيت المقدس (انه لا تسكن كنائسهم

ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم) . ويظهر ان الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيما ، فقد كانت كنيسة القيامة اول معبد زاره عمر بعد الفتح ، واراد البطريرك ان يكرم عمر فعرض عليه ان يصلي داخل الكنيسة حين ازفت ساعة الصلاة ، ولكنه ابى حتى تبقى الكنيسة خالصة لاصحابها .

ونصت العهدة على مسألة اخرى خليقة بالنظر ، وهي (ان لا يسكن بايلياء ـ بيت المقدس ـ معهم احد من اليهود) . ولم هذا النص ؟ الواقع ان المسيحية ابطلت (العرقية) ـ النسبة الى جنس معين ـ التي كان يؤكدها بنو اسرائيل ويتفاخرون بها .

فقد قال السيد المسيح : « ولا تفتكروا ان تقولوا في انفسكم لنا ابراهيم ابا ، لاني اقول لكم : ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم » (متى ٣/٩) واكد ذلك بولس الرسول بقوله : « ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون ، ولا لانهم من نسل ابراهيم هم جميعا اولاد . بل باسحق يدعى لك نسل ، اي ليس اولاد الجسد هم اولاد الله بل اولاد الموعد يحسبون نسلا » . والمقصود بالموعد مجيء السيد المسيح ـ رسالته الى اهل رومية ٩/٦ ـ وقال : « ان الذين يؤمنون بالله هم ابناء ابراهيم ، فالذين هم من الايمان يتباركون مع ابراهيم المؤمن » ـ رسالته الى اهل غلاطية ٣/٩ ـ واكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله (ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)

ومن هنا كانت القطيعة التي نص عليها عهد عمر بطلب من البطريرك ، في اغلب الظن .

وحين تولى معاوية الخلافة سنة اربعين للهجرة زار بيت المقدس وصلى عند جبل الجلجلة (او جبل الصلبوت) ثم ذهب الى الجتسمانية Gesthsemane وصلى عند قبر السيدة مريم (٢) وهما من اقدس الآثار المسيحية في المدينة .

ونخلص الى حقيقتين : الاولى ان الديانات لا تقوم على العرق ، فالحنيفية او الموسوية ليست دين جنس معين من البشر ، والمسيحية ليست دين امة معينة ، والاسلام ليس للعرب وحدهم ، والا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب ، في حين كان اعظم ما قصدته تجميع الناس على خير المثل العليا وانبلها. والحقيقة الثانية ان الاسلام هو الوريث الشرعي لتراث الانبياء ، لانه آمن برسائلهم وآخى بينهم ، وبالتالي ورث المسلمون في بيت المقدس المقدسات الموسوية وحافظوا عليها جزءا لا يتجزأ من تراثهم الروحي ، والعودة الى التراث الموسوي واظهاره اشبه بهدم الطابق السفلي من البناء او قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليها، فليتأمل في ذلك اليوم المتأملون ! ولا سيما اولئك الذين يبغون هدم المسجد الأقصى بحثا عن انقاض هيكل سليمان !.

---

٢ ــ انظر : ا.س. ترتن A.S. Tritton ، اهل الذمة في الاسلام ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٠٩ .

(٤)

الآثار الاسلامية في بيت المقدس
بعد الفتح العمري

١ ــ فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م ، وخف اليها امير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلمها من اهلها ، قاطعا على نفسه عهدا لله ان يصون اموالهم وكنائسهم ، ويرعى حقوقهم ، ويحقق لهم الامن والسلامة .

ومنذ الفتح العمري الى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الام وليدها ، ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها .

ولا نعرف في تاريخ الاسلام ، بل في تاريخ الاديان السماوية جميعها ، مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة . وقد اولاها الخلفاء والامراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم ، فانشأوا المساجد والزوايا والتكايا والاربطة والسبل والمدارس والمقابر ، واوقفوا عليها معظم الاراضي المجاورة ، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديما ، واسسوا جديدا ، حتى اضحت تحفة منقطعة النظير .

ولم ذلك ؟

اولا : لانها موطن ابراهيم خليل الله ، ومقر الانبياء ،

ومهبط الوحي ، ومبعث عيسى ، كلمة الله التي القاهـا الى مريم .

وثانيها : لانها اولى القبلتين ، وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام بعد هجرة الرسول الكريم الى المدينة .

وثالثا : لانها مسرى رسول الله بنص القرآن الكريم .

ورابعا : لانها مفتاح الكعبة وقبر الرسول . مـن حازه تمكن من الاردن وما وراءه من بلاد ، لارتفاعها ومناعتها . وقد حدث سنة ٥٧٨ هـ ، بعد ان نفذ الافرنج مـن فلسطين الى الاردن ان « قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك ـ من مدن الاردن ـ المسير الى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف . وينقلوا جسده الكريم الى بلادهم ، ويدفنوه عندهـم ؛ ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل ـ ضريبة ـ فانشأ البرنس ارباط ، صاحب الكرك ، سفنا حملها على البحر الى بحـر القلزم ـ البحر الاحمر ـ وركب فيها الرجال ، وسارت الافرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة » (١) ولكن الناصر صلاح الدين ارسل من هزمهم واحبط مسعاهم .

وخامسا : لانها عاصمـة فلسطين ، ومتحف آثارهـا الدينية التي تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا ، وصلة الوصل بين الاقطار العربية ، والمنارة ـ بحق ـ التـي يشع منهـا نور الهداية والخير .

روى ابو عبد الله المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم

١ ـ الانس الجليل ، ج ١/٢٨٠ .

في معرفة الاقاليم) انه فضل القدس على مدن الدنيا في مجلس عقد في العراق ، فاستهول الناس قوله ، ولكنه علل حكمه بقوله : « .. واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر ، وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي ، ويوم القيامة يزفان اليها ، فتحوي الفضل كله .. فاستحسنوا ذلك منه واقروه » (٢) .

٢ ــ لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي ، على اختلاف دوله ، الا اقام المسلمون فيها بناء جديدا ، او اصلحوا بناء قديما .

ففي عهد الخلفاء الراشدين اقام عمر بن الخطاب مسجدا، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة ان ازال بيده ما تراكم عليها من تراب واقام عليها مصلى .

وفي العهد الاموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، ونقش اسمه على القبة مع تاريخ البناء سنة ٧٢ هـ . ثم توالى الخلفاء والامراء فجددوا وزخرفوا حتى اضحى المسجد ، بشهادة احد المؤرخين الغربيين (من اجمل الابنية الموجودة فوق هذه البسيطة ، لا بل اجمل الآثار التي خلدها التاريخ) . وبنى عبد الملك المسجد الاقصى واتمه ابنه الوليد ، وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والامراء ، آخرهم الملك المغربي المجاهد محمد الخامس الذي فرش مسجد الصخرة بالسجاد الفاخر ، وفيه

---

٢ ــ ص ١٦٥ .

ومهبط الوحي ؛ ومبعث عيسى ، كلمة الله التي القاهـا الى مريم .

وثانيها : لانها اولى القبلتين ، وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام بعد هجرة الرسول الكريم الى المدينة .

وثالثا : لانها مسرى رسول الله بنص القرآن الكريم .

ورابعا : لانها مفتاح الكعبة وقبر الرسول . من حازه تمكن من الاردن وما وراءه من بلاد ، لارتفاعها ومناعتها . وقد حدث سنة ٥٧٨ هـ ، بعد ان نفذ الافرنج من فلسطين الى الاردن ان « قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك ـ من مدن الاردن ـ المسير الى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف . وينقلوا جسده الكريم الى بلادهم ، ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل ـ ضريبة ـ فأنشأ البرنس أرباط ، صاحب الكرك ، سفنا حملها على البحر الى بحر القلزم ـ البحر الاحمر ـ وركب فيها الرجال، وسارت الافرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة » (١) ولكن الناصر صلاح الدين ارسل من هزمهم واحبط مسعاهم .

وخامسا : لانها عاصمة فلسطين ، ومتحف آثارها الدينية التي تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا ، وصلة الوصل بين الاقطار العربية ، والمنارة ـ بحق ـ التي يشع منها نور الهداية والخير .

روى ابو عبد الله المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم

١ ـ الانس الجليل ، ج ١/٢٨٠ .

في معرفة الاقاليم) انه فضل القدس على مدن الدنيا في مجلس عقد في العراق ، فاستهول الناس قوله ، ولكنه علل حكمه بقوله : « .. واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر ، وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي ، ويوم القيامة يزفان اليها ، فتحوي الفضل كله .. فاستحسنوا ذلك منه واقروه » (٢) .

٢ ــ لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي ، على اختلاف دوله ، الا اقام المسلمون فيها بناء جديدا ، او اصلحوا بناء قديما .

ففي عهد الخلفاء الراشدين اقام عمر بن الخطاب مسجدا، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة ان ازال بيده ما تراكم عليها من تراب واقام عليها مصلى .

وفي العهد الاموي بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، ونقش اسمه على القبة مع تاريخ البناء سنة ٧٢ هـ . ثم توالى الخلفاء والامراء فجددوا وزخرفوا حتى اضحى المسجد ، بشهادة احد المؤرخين الغربيين (من اجمل الابنية الموجودة فوق هذه البسيطة ، لا بل اجمل الآثار التي خلدها التاريخ) . وبنى عبد الملك المسجد الاقصى واتمه ابنه الوليد ، وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والامراء ، آخرهم الملك المغربي المجاهد محمد الخامس الذي فرش مسجد الصخرة بالسجاد الفاخر ، وفيه

---

٢ ــ ص ١٦٥ .

٣ ـ ان الكثرة العظمى من هذه الاماكن الاسلامية التي ذكرناها ـ عدا المقابر ـ قائمة في المدينة القديمة المحاطة بسورها الاثري الذي جدده آخر مرة السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر الهجري . واذا علمنا ان المدينة القديمة صغيرة ، اذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونما ـ اي ٨٦٨ الف متر مربع ـ يشغل منها الحرم القدسي وحده ٢٦ دونما ، تبين لنا صحة القول ان المدينة اضحت مع الزمن متحفا اثريا غنيا بالابنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التي لا تقدر بثمن ، ولا يمكن ان يوجد لها بديل .

كان سكان القدس القديمة، حسب احصاء سنة ١٩٤٧ ، نحو ٣٣٫٦٠٠ عربي مقابل ٢٫٤٠٠ يهودي ، اي نحو سبعة في المئة لا يملكون الا نسبة ضئيلة جدا منها ، اقل كثيرا من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والحوانيت وقفا اسلاميا، ولتحريم القانون في العهد العثماني البيع لليهود . وتركز معظم اليهود في حي واحد ، اسمه حي اليهود الذي يوجد فيه كنيسهم الاكبر، واذن فكل ما لليهود من اثر ذي قيمة هو حائط المبكى ، وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل ، ولكن المسلمين ينازعونهم في الحائط ، لانهم يعدّونه جزءا من الحرم الشريف الذي يضم مسجدي الصخرة والأقصى ، كما يعدّونه مربط البراق الذي اسرى به الرسول ، وهو فوق هذا وذاك وقف اسلامي لا ينازع فيه ، ولكن الصهيونيين غالوا في تقويم المبكى لاثارة المشاعر الدينية لاسباب سياسية محضة .

والدليل على ذلك ان اللجنة الدولية التي تكونت سنة

١٩٢٩ للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى والعبادة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية ، وحكمت ـ بعد دراسة وافية للوثائق ـ بابقاء الحال على ما هو عليه ، ومنع اليهود من ادخال تغيير فيه ، والتسامح الاسلامي هو الذي حدا المسلمين الى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الاسلامية المقدسة .

والخلاصة ان الآثار الاسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التي لم يفتأ المسلمون في جميع عصورهم يرعونها بالاجلال والتعظيم ، ويتعهدونها بالتعمير والتجديد ، مدينة اعظم شأنا في نظرهم من (اورشليم) التاريخية في نظر اليهود ، بل يمكن ان تقف في صف واحد مع مكة والمدينة ، وفي حديث للرسول عليه السلام انها رابع مدن الجنة . ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود اثر يذكر بشهادة جميع العلماء مسلمين ومسيحيين ، ولذا فان التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين ، وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التي كفلتها جميع الشرائع والقوانين وخطر على سائر مقدساتهم في مكة والمدينة ، وافتئات على الاوقاف الاسلامية والملكية الفردية ، لا يمكن ان يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس .

(٥)

مصير بيت المقدس

١ ـ ولد اغتصاب اسرائيل بيت المقدس مشكلة على جانب كبير من الخطورة لمئات الملايين من المؤمنين : مسلمين ومسيحيين .

لقد توهمت اسرائيل ان المشكلة يسيرة ، وان قرارا تصدره (الكنيست) بتوحيد شطري المدينة المقدسة ـ المغتصبين ـ يضع العالم امام الامر الواقع ، وينهي القضية الى الابد . ثم ان من لا يرضى يتكفل الزمن بارضائه ، طال أم قصر ..!

ومن عجب ان مندوب الولايات المتحدة الاميركية احتج ـ على طلب وفود في هيئة الامم خروج اسرائيل من البلاد التي اغتصبتها ـ بأن عقارب الساعة لا ترجع الى الوراء بضعة ايام . اما رجوع عقارب الساعة الفي سنة ، والعودة الى شريعة التدمير والقتل والسلب ، فأمر يسير لا يتطلب سوى قرار تصدره (الكنيست) !

ان تغييرا بسيطا في الحدود امر مناف للطبيعة والحياة، اما تغيير حضارة روحانية ومادية تغلغلت في جذور الارض وفي قلوب الناس مئات السنين فأمر يسهل على الناس قبوله !

من الهين عندهم ان تهدم جامعا لتقيم على انقاضه

معبدا . ومن الهين ان تدخل كلابا الى كنيسة تحرم دخول الكلاب . ومن الهين ان تطلق النار على مصلى ليفر اهله ويغلق الى الابد . ومن الهين ان تسمي نبيا من انبياء الله «هرطوقا» او ابن زنى . ولكن ليس من الهين ان يتنازل السالب عما سلب ، ولا ان يرتد المعتدي عن الارض التي اعتدى عليها بعد اسبوع او اسبوعين من ارتكاب العدوان .

القضاء على حضارة روحيةمضى عليها الفا سنة ، وعلى مقدسات دينية عزيزة على قلوب مئات الملايين ، امر يمكن ان يتم بقرار يتألف من اسطر . اما انصياع المعتدي لقرار تسع وتسعين دولة فأمر لا يمكن ان يتم حتى ولو صدر عن دول العالم قاطبة . . هذا هو منطق من يعيش في القرن العشرين بعد الميلاد ويفكر بعقلية القرن العشرين قبل الميلاد . والمسألة بسيطة ، انها فرق اربعين قرنا او اربعة آلاف سنة ، لا اقل ولا اكثر !!

٢ ــ وما الذي يبيح لاسرائيل ان تدعي لنفسها الاولوية في حكم القدس والاشراف على الاماكن المقدسة ؟ وكيف تسوغ ان تضع مقدسات مئات الملايين من مسلمينومسيحيين بين يدي ثلاثة ملايين او خمسة عشر مليونا ؟.

اولا : انّاسرائيل تنكر رسالةالسيد المسيح عليهالصلاة والسلام انكارا تاما ، وتنعته نعوتا نعف على ذكرها . وتنكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام انكارا تاما ، وبالتالي لا تقر بقدسية الاماكن التي تتصل بعيسى ومحمد عليهما السلام ، والتي اقامها المسيحيون والمسلمون خلال الفي سنة او ثلاثة عشر قرنا . فكيف يرعى الذئب خرافا ويدّعي انه اهل لرعيها

والمحافظة عليها ؟!

لو ان بعض الطوائف المسيحية التي تؤمن بالعهد القديم هي التي طلبت الولاية على الاماكن المقدسة لكان ذلك مقبولا بعض الشيء ، لانها سترعى المقدسات اليهودية والمسيحية على السواء .

ولو ان المسلمين هم الذين طلبوا الولاية على الاماكن المقدسة جميعها لحسن ذلك في نظر الجميع ، لان المسلمين يؤمنون بجميع الانبياء ابتداء من ابراهيم الى السيد المسيح عليهم السلام .

والواقع ان المسلمين ، منذ الفتح الاسلامي الى يومنا هذا ، صانوا جميع الاماكن المقدسة صيانة اهلها لها ، فمقام ابراهيم واسحق وسارة وغيرهم في الخليل مقامات مقدسة بل هي جزء من المقدسات الاسلامية لا يجوز تدنيسها . وقل مثل ذلك في سائر المقدسات اليهودية كقبر داود وسليمان وآثار موسى وغيرهم ، فان المسلمين صانوها صيانة تامة وعدّوها جزءا من مقدساتهم لا يجوز تدنيسها . وكان ذلك موقفهم من الآثار المسيحية ايضا لحرمة السيد المسيح وامه السيدة البتول والحواريين فقد ظلت جميعا في حوزتهم كمقدساتهم .

ثانيا : وماذا في القدس لليهود من آثار دينية ؟

ان الذي يدرس تاريخ الآثار الدينية في القدس يعلم يقينا ان الاماكن اليهودية المقدسة قليلة جدا لسببين : اولهما ان الرومان دمروا القدس ـ اورشليم ـ وما فيها من آثار

يهودية مرتين ، مرة سنة ٧٠ للميلاد على يد تيطوس ، ومرة سنة ١٣٥ للميلاد على يد هدريانوس . وبذلك عفت آثارهم كلها . وثانيهما : ان الفترة التي ازدهرت فيها الديانةالموسوية قصيرة جدا . فحكم داود وسليمان لم يتجاوز القرن الواحد، في حين طال الحكم الاسلامي ثلاثة عشر قرنا. اما المسيحيون فالقدس عندهم جماع آثارهم المقدسة وقد اولوها عناية فريدة منذ ظهور المسيحية الى وقتنا هذا . ولذا فاهم ما لليهود من آثار هو حائط المبكى الذي يظن انه جزء صغير جدا من سور القدس القديم ، يوم كان هيكل سليمان في داخلها (١) . والآثار المسيحية ذات اهمية بالغة لانها آثار السيد المسيح والحواريين والشهداء ، ولا نظير لها في اية بقعة في العالم ، اهمها اطلاقا : كنيسة القيامة التي تضم قبر السيد المسيح ، ثم طريق الآلام وما اقيمت على جوانبه من كنائس . والآثار الاسلامية كثيرة وجليلة ، حتى اننا لا نغالي اذا قلنا : ان المدينة القديمة متحف زاخر بالمساجد والمدارس والاربطة والزوايا والمقابر ، على راسها جميعا تقف الدرتان النادرتان في العالم الاسلامي وهما : مسجد الصخرة المشرفة، والمسجد الاقصى . وقد فتن المسلمون بروعة هذه الآثار حتى الفوا الكثير من الكتب في فضائل بيت المقدس ، ومن اشهرها واوسعها كتاب (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) للقاضي مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ .

---

١ ــ انظر تقرير اللجنة الدولية المقدم الى عصبة الامم عام ١٩٣٠ ، من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٦٨ .

ومما ورد في بيت المقدس من احاديث عن انس بن مالك قال : (ان الجنة تحن شوقا الى بيت المقدس وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي صرة الارض) « رواه الزركشي في اعلام الساجد بأحكام المساجد » (٢) وفي حديث للرسول صلى الله عليه وسلم (ان صلاة فيه كألف صلاة في غيره) (٣) . وفي الصحيحين : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى). وقال الزركشي : (ان الصخرة في المسجد الأقصى كالحجر الاسود في المسجد الحرام) (٤) .

ثالثا : من المعلوم ان في الديانات السماوية طوائف وفرقا كثيرة . ولكل منها موقف خاص من الآثار الدينية وقد نشب الخلاف بين كثير منهم . وشهد المؤرخون ان المسلمين كانوا رحماء بأصحاب الاديان السماوية ، عادلين في معاملتهم ، منصفين في الحكم بينهم . وذكر المؤرخان العربيان المسيحيان: خليل طوطح وبولس شحادة في كتابهما (تاريخ القدس) (ان المسيحيين تمتعوا زمن العرب بالحرية الدينية وراوا من شممهم وابائهم وكرم نفوسهم ما لم يروا مثله من الرومان والبيزنطيين المسيحيين انفسهم) . وقال ا.س. ترتن : « يصر الاسلام على وجوب اصطناع الرفق مع الشعوب المغلوبة على امرها ويوصي بحسن تعاملها والتزام العدل معها». ومما روى عن الرسول قوله : « من ظلم معاهدا او كلفه مزيد طاقته

---

٢ — ص ٢٨٦ .
٣ — ص ٢٨٧ .
٤ — ص ٢٩١ .

فانا حجيجه » وقال ابو بكر « لا تقتلن احدا من اهل ذمة الله فيطلبك بذمته ، فيبكيك الله على وجهك في النار» والروايات الواردة بحق عمر في رأفته بالذميين كثيرة (٥) .

وبسبب موقف المسلمين هذا اسند الى اسرتين مسلمتين في القدس حراسة كنيسة القيامة ــ وهي ، كما قلنا ، اعظم المقدسات المسيحية في العالم ــ برضى المسيحيين انفسهم ، وبيدهما مفتاح الكنيسة العظيمة . وحين فتح الجنرال اللنبي القدس سنة ١٩١٧ زار هذه الكنيسة وتسلم مفاتيحها ، ثم سلمها بنفسه الى الاسرتين المسلمتين لتستمرا في الحراسة، وكان بوسع اللنبي ان ينهي حراسة المسلمين لاعظم كنيسة مسيحية ، ولكنه لم يفعل يقينا منه ان المسلمين اتصفوا بالعدل والسماحة ، وان مقام السيد المسيح عندهم ذو امتياز خاص .

ومن المؤلم ، بعد هذا ، ان يذكر احد المسؤولين الاسرائيليين على الرغم من علمه بالتاريخ ، ان الاماكن اليهودية المقدسة قد دنست في اثناء اشراف الاردن عليها !

ونحن نذكر للتاريخ ان جميع المقدسات اليهودية في القدس ظلت على حالها لم تصب بسوء ، عدا معبد حارة اليهود الذي جرى في داخله قتال سنة ١٩٤٨ . وقد حافظ المسلمون على اكبر مقبرة لليهود واقعة في سفح جبل الزيتون، وزرعوها بالاشجار ، رغم كونها من الاوقاف الاسلامية. وانظر كيف يعطي المسلمون ارضا موقوفة ليجعلها اليهود مقبرة لهم

---

٥ ــ ا.س. ترتن ، اهل الذمة، ص ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

قرب جبل له قدسيته وحرمته !!

وينبغي ان نذكر للتاريخ ايضا ان العلاقة بين العرب واليهود في القدس كانت علاقة رحمة ومودة طوال الحكم الاسلامي بدليل ان اسرا يهودية كثيرة كانت تسكن الاحياء العربية داخل المدينة متجاورة بيت بيت ، واذكر ان والدي ـ رحمه الله ـ كان يرسلني لتفقد نجار يهودي كان يسكن احد بيوتنا في القدس القديمة ، وكان الرجل يلقاني بكل ترحاب ويسأل عن والدي ويدعو له بالخير ولم تفسد هذه العلاقة الانسانية الا بعد ان ذر قرن الصهيونية ووفد على فلسطين اسرائيليون غرباء من شرقي اوروبه نزع الله من قلوبهم الرحمة وشطوا في اطماعهم السياسية .

لقد اضطهد الغرب اليهود اضطهادا متواصلا منذ التشرد الى زمن النازية ، وكان العالم الاسلامي ملجأ رحبا لكثيرين منهم . ولما عجز اليهود عن الانتقام لانفسهم ممن آذوهم واضطهدوهم كرّوا على العرب الآمنين الذين آووهم من جوع وآمنوهم من خوف ، يطبقون اسوأ ما تعلموا من ضروب الارهاب والاضطهاد .

٣ ـ هذه هي الحقائق التي ستقرر مصير القدس ومقدساتها الدينية النادرة ، لاقرار تصدره (الكنيست) ولا تصريحات يتفوه بها مغتصبون حاقدون .

ومن الخير ان يذكر الاسرائيليون ان التاريخ لم ينته ؛ وانهم محاطون بالعرب بحشود ضخمة لا قبل لهم على افنائها.

ممتدة من الخليج الى المحيط (٦) ، وان الغرب بعيد عنهم ، يرعاهم يوما ويتنكر لهم اياما ، كما يحدثهم تاريخهم الطويل ، وان العرب كانوا دوما وطوال التاريخ ارحم بهم واشفق عليهم من حلفائهم اليوم ، وان ما يقوم على الطيش والحقد والتعصب لا يدوم ، وان البقاء للحق والعدل والخير ، ولمنطق الزمن السليم واحكامه الثابتة .

٦ ـ قال موشه سنه الاسرائيلي : « عمّ (اسرائيل) تصوّر مؤداه ان حل المشكلة لا يمكن ان يفرض الا بعد انتصار عسكري حاسم . هذا الموقف مغاير لكل منطق ، اذ ان اسرائيل ، بعد اية مواجهة عسكرية ، مهما كانت نتيجتها ، ستبقى محاطة بالبلدان العربية ، ولن تكون مشكلة التعايش قد حلت بل سوف تزداد حدتها » ، من الفكر الصهيوني المعاصر ـ مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت١٩٦٨، ص ٢٤٦ .

(٦)

مكانة بيت المقدس
في الاسلام

١ ــ اقدم ما يعرف عن بيت المقدس يرجع الى الالف الرابعة قبل الميلاد . ففي ذلك الوقت انشأ الكنعانيون ــ وهم عرب ــ مدينة اسموها « يوروسالم » او « يوروشالم » ، اي منشاة الاله سالم أوشالم . وظل هذا الاسم شائعا ، منذ ذلك العهد الى يومنا هذا ، مع شيء من التغيير ، علاوة على الاسما الاخرى التي ظهرت في بعض مراحل التاريخ .

ومن يوروسالم هذه جاء الاسم الغربي Jerusalem المستعمل في اليونانية واللاتينية والالمانية والفرنسية والانجليزية وما اليها . ومنه ايضا جاءت «أورشليم» الواردة في العهد القديم .

٢ ــ واستولى العبرانيون على المدينة في القرن الحادي عشر ق.م. على يد الملك داود الذي اتخذها عاصمة ملكه ، ووحد الاسباط ، وعزم على بناء الهيكل ، ولكنه توفي فبناه ابنه سليمان ، ونقل اليه تابوت العهد ، وصار الهيكل بيتا مقدسا يذكر فيه اسم الله .

وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم ، فعبدوا

الاوثان ، وتنكروا لرسالة الله الواحد الاحد ، وارتكبوا الفواحش ، وظلموا وتكبروا ، وقتلوا الانبياء بغير حق ، فأخذهم الله اخذ عزيز مقتدر ، وسلط عليهم اعداءهم ، فقضى الاشوريون سنة ٧٢١ ق.م. على مملكة اسرائيل . وقضى البابليون سنة ٥٨٥ ق.م. على مملكة يهوذا ، ودمروا الهيكل ، وسبوهم . وعانى اليهود في السبى ما عانوا ، ثم احسن اليهم الفرس ، واعادوا من اراد منهم الى بيت المقدس سنة ٥٣٨ ق.م .

ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ، ولم يصغوا الى انبيائهم، فضربهم الرومان مرتين ، مرة سنة ٧٠ ب.م على يد الامبراطور تيطوس فلافيوس الذي دمر المدينة واحرق الهيكل . ومرة سنة ١٣٥ ب.م على يد الامبراطور ايليوس هادريانوس الذي محا المدينة محوا تاما ، وغير اسمها الى ايليا كابيتولينا ـ اي ايليا العظمى ـ وشتت سكانها .

وحين تنصّر الرومان في القرن الرابع الميلادي اشتدت الوطأة عليهم بسبب غدرهم بالسيد المسيح ، وحرمت المدينة عليهم ، وصار مكان الهيكل قمامة تجمع فيها القاذورات من المدينة ومن خارجها .

وفتح المسلمون المدينة في السنة السابعة عشرة للهجرة = ٦٣٨ م ، وبدأت صفحة جديدة لم يعرف اليهود اجمل منها ولا اكرم .

أزال خليفة المسلمين ، عمر بن الخطاب ، بيده ما تراكم على الصخرة من قاذورات . « وجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبني اسرائيل ، فبسط رداءه وجعل

يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل . ومضى نحو محراب داود فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد » (١) . وتتبع المسلمون مساجد الانبياء ، واحدا واحدا ، ابتداء من ابراهيم الى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس ، فأعادوا بناءها ، وحافظوا على قدسيتها ، وطهروها تطهيرا .

وبدأ اليهود ، بعد الفتح الاسلامي ، يعودون الى المدينة للزيارة ، ثم للعمل والسكن والعبادة ، بعد ان حرموا من ذلك حرمانا تاما زمن الرومان ، وثنيين ومسيحيين . واسند الى افراد منهم خدمة المسجد الأقصى وعمل « القناديل والاقداح والثريات وغير ذلك ، لا يؤخذ منهم جزية.. جاريا عليهم وعلى اولادهم ابدا ما تناسلوا من عهد عبد الملك وهلم جرا » (٢) . ثم انشأوا المراكز الدينية في طبريه وصفد والخليل وبيت المقدس . وبعد طردهم من اسبانيه سنة ١٤٩٢ م ذهب عدد كبير منهم الى الشرق العربي . وفي خلال سنوات قليلة ، انضم الى يهود القدس ١٣٠ اسرة من اسبانيه ، حتى بلغ عددهم فيها ١٥٠٠ نسمة . واستمر تدفقهم على المدينة وصار عددهم سنة ١٥٢٢ ، ١٣٠٠ اسرة (٣) .

لم يفرّق المسلمون ، زمن حكامهم الورعين، بين اصحاب الديانات السماوية ، كما لم يفرّقوا بين انبياء الله . وصارت

---

١ ــ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ، القاهرة ١٢٨٣ هـ ، ج ١ ، ص ١٥٣ ــ ٢٢٧ .

٢ ــ المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

٣ ــ دائرة المعارف اليهودية ، لندن ١٩٠٣ ، ج ٧ ، ص ١٣٣ .

لهم ذمة ترعى وعهد يحفظ . وقامت في بيت المقدس حضارة روحانية فذة ، وتلاصقت المساجد والكنائس والمعابد ، وارتفع اسم الله عاليا ، واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور . ولم يخل الحال من اوقات ضيق عانى منها جميع السكان ، ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش او حرق المعابد ومحو آثار الانبياء .

واراد اليهود في هذه المرحلة السمحة ان يحرفوا اسم المدينة الكنعاني القديم ، فأطلقوا عليها اسم « يروشالايم » بدل « يوروشالم » ـ باضافة لاحقة عبرية ـ كي تصبح عبرية النطق . ولكن جميع الشواهد الاثرية والتاريخية واللغوية تثبت ان الاسم كنعاني قديم ، وان التحريف طارىء .

وغلب على المدينة ، بعد الفتح الاسلامي ، اسم « بيت المقدس » او « البيت المقدس » ، وهو دليل صدق على انمن استعمله اراد لهذه المدينة ان تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى ، يؤمها المؤمنون جميعا للعبادة والطهارة ، وان ينتهي عهد الحرق والتدمير والتحريم والتفتيش .

٣ ـ دام حكم المسلمين ثلاثةعشر قرنا ، خلا قرنا واحدا تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على بعض اجزاء فلسطين وعلى بيت المقدس . وهذه اطول مدة في تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها حلاوة الامن والاستقرار ، واطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء . وعنى المسلمون بالمدينة عناية فائقة لاربعة اسباب :

الاول : لان الله خصها بالعديد من الانبياء ، ابتداء من ابيهم ابراهيم عليه السلام الى عيسى بن مريم صلوات الله

عليه . عن ابن عباس قال : « البيت المقدس بنته الانبياء وسكنته الانبياء ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي او قام فيه ملك » (٤) .

الثاني : لان الله خصها باسراء رسوله وحبيبه المصطفى، فقال في كتابه العزيز « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

الثالث : لان فيها اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. روى الطبري في تاريخه عن قتاده قال : « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة . وبعد ما هاجر رسول الله صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا » (٥) . وروى البخاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى» (٦) . وروى السيوطي في الجامع الصغير : « عن زهير بن محمد بلاغا عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس » (٧) .

الرابع : لان المسلمين عدّوا المدينة الثغر الذي يمكن ان

---

٤ ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١/١١٢ ، والأنس الجليل ١/٣١١ ، واعلام الساجد ٢٨٣ .
٥ ـ تاريخ الطبري ٢/٢٦٥ ، والأنس الجليل ١/١٧٢ .
٦ ـ البخاري ٢/١٣٨ .
٧ ـ ج ١ ، ص ٢٢٧ .

ينفذ منه العدو الى الكعبة المشرفة وقبر رسول الله . ولذا ما استقر بهم الامر حتى بادروا الى سد هذا الثغر وحمايته كي يدراوا عنهم خطرا مروعا .

ولهذه الاسباب الاربعة لم يمض عهد من عهود الاسلام الا اضاف المسلمون الى المدينة جديدا ، واصلحوا قديما .

بنوا في عهد عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، وانفقوا عليه خراج مصر لسبع سنوات . ثم بنوا في عهد ابنه الوليد المسجد الأقصى ــ او مسجد عمر ــ فكانا من اجمل واروع ما بناه المسلمون في حواضرهم ، بل من اجمل ما خلده الفن المعماري من آثار في العالم . واوقفوا عليهما معظم الاراضي المحيطة ببيت المقدس. وتقرب الخلفاء والامراء والصالحون الى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما، واضافة العديد من المساجد والقبب والمحاريب والاروقة والمآذن والمدارس حتى اضحت المدينة متحفا لا مثيل له ، يعلو اسم الله في كل جنباتها .

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والاروقة مدارس يدرسون فيها علوم الدين. وقصد معظم الحجيج بيت المقدس ، في ذهابهم الى بيت الله الحرام وفي عودتهم منه ، حتى اضحت المدينة المقدسة مزارا يتبرك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة . واستحبوا الاحرام بالحج والعمرة منه . ففي سنن ابي داود من حديث ام سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اهل بحجة او عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه » (٨)

٨ ــ اعلام الساجد ، ص ٢٨٩ .

واحرم منه جماعة من السلف كابن عمر ومعاذ وكعب الاحبار وغيرهم .

وتعلقت قلوب المسلمين بالمدينة، وحنوا عليها ، وافتدوها بالمهج ، واحاطوها بالرعاية ، وعبّروا عن شعورهم هذا في ما كتبوا من رسائل وكتب في « فضائل بيت المقدس » (٩) .

روى ابن ماجة في سننه عن ميمونة مولاة رسول الله قالت : قلت يا رسول الله افتنا في بيت المقدس قال : « ارض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فان صلاة فيه كألف صلاة في غيره » وروى عن رسول الله قوله : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » . وعن ابي عباس قال : «من حج وصلى في مسجد المدينة ومسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه » (١٠) . وعن ابن عباس انه قال : قال رسول الله « من اراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس » (١١) .

وعن انس بن مالك قال : « ان الجنة تحن شوقا الى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي صرة الارض » (١٢) .

---

٩ ــ نذكر منها (فضائل بيت المقدس) لابن المرجي المقدسي. و (الأنس في فضائل القدس) لابن هبة الله الشافعي، و (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) لابن سرور الخ . .

١٠ ــ اعلام الساجد ، ص ٢٨٦ ــ ٢٩٦

١١ ــ الأنس الجليل ١/٢١١ .

١٢ ــ اعلام الساجد ، ص ٢٨٦ .

ودفن في المدينة عـدد كبير مـن الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم الصحابى عبادة ابن الصامت الانصاري ، والصحابى شداد بن أوس ، والزاهدة ام الخير رابعة العدوية، والمتكلم محمد بن كرام صاحب الفرقة الكرامية ، والمحدث بكر ابن سهيل الدمياطي .

٤ ــ يزعم الاسرائيليون اليوم ان بيت المقدس لهم بمثابة الراس للجسم . ونحن نسأل : اين بيت المقدس هذه التي يتحدثون عنها ؟ انها اورشليم التاريخية التي هدمها الرومان مرتين وازالوا اسمها من الوجود ، وهي التي تنبأ السيد المسيح بخرابها حين قال : « يا اورشليم يا اورشليم ! يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا». وحين قال لاحد تلاميذه : « أتنظر هذه الابنية العظيمة ، لا يترك حجر على حجر لا ينقض » . بل ان نبيهم سليمان تنبأ لها بهذا المصير حين قال لهم : « فاني اقطع اسرائيل عن وجه الارض التي اعطيتم اياها ، والبيت الذي قدسته لاسمي انفيه من امامي » .

اورشليم تلك اندثرت بسببهم هم . ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة دون قتال . لم يأخذوها مـن اليهود ، بـل اخذوها من الرومان اعداء اليهود ، وحافظوا على كنائسهـا ومعابدها . وفي اثناء الحكم الاسلامي وحده شرع اليهـود يعودون اليها ويقيمون فيها المعابد والمعاهد وفق الشروط التي وضعها الاسلام لاهل الذمة . ثم ان المسلمين في اثناء الاثني عشر قرنا التي حكموا فيها فلسطين اتخـذوا بيت المقدس عاصمة لهم ، وتملكوا ارضها بالطرق الشرعية، واوقفوا اكثرها

على الخير والبرّ والعبادة . ولم تهدم المدينة ولم تحرق طوال حكمهم . ثم انهم بنوا المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والبيوت بأموالهم وعرق جبينهم ، وظلوا فيها مرابطين صابرين . واختلطت دماؤهم وعظامهم بتربتها ، فبأي حق ـ بعد هذا ـ يدّعي الاسرائيليون اليوم انها مدينتهم المقدسة؟ اذا كان بحق التاريخ ، فالتاريخ يحكم بأن مدينتهم تلك اندثرت كلية منذ ثمانية عشر قرنا . واذا كان بحكم البناء والتاريخ يحكم ان المسلمين هم بنوا وعمّروا . واذا كان بحكم الملكية فالتاريخ يحكم ان المسلمين هم المتملكون مدة اثني عشر قرنا .

ولننظر الى الموضوع من ناحية انسانية او دولية . في العهد الاسرائيلي القصير عارك اليهود الرومان ، وثنيين ومسيحيين . ولم تعرف المدينة سلما ولا امنا . وفي العهد الروماني ، الوثني والمسيحي ، تعارك الرومان واليهود ، ولم تذق المدينة امنا . اما في العهد الاسلامي فقد عاش المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون في امن وسلام . والارض التي انشأ عليها اليهود معابدهم ومقابرهم ومساكنهم اخذوها من المسلمين . وفي العهد الاسلامي وحده حفظت المعابد اليهودية من الدمار . وذهب المسلمون في حفظها ورعايتها الى حد ان جعلوها بمثابة مساجدهم ، وهذا الموقف طبيعي ، لانه مستمد من عقيدتهم التي تؤاخي بين الانبياء جميعا دون تفرقة ، واليهود لا يمكن ان يقفوا هذا الموقف لانهم ينكرون رسالة عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله ، عليهما السلام ، وبالتالي لا يقرون بقدسية الآثار المسيحية والاسلامية ، ولا يمكن ان يؤتمنوا عليها . والمسلمون يتسمون بأسماء انبياء بني اسرائيل . وفي اسرتي الصغيرة اسماء ابراهيم واسحق

وموسى وداود وسليمان . فاية رحمة يريد الاسرائيليون اكثر من هذه الرحمة ، واية رعاية يبتغون اجلّ واعظم من هـذه الرعاية ؟

وماذا فعل الاسرائيليون مقابل هذه السماحة في المدة القصيرة التي حكموا فيها فلسطين، منذ سنة ١٩٤٨ ؟ صادروا املاك العرب ، مسلمين ومسيحيين ، واستولوا على نحو الف مسجد ، وهدموا عددا كبيرا من المساجد والكنائس والاضرحة وصادروا مليون دونم موقوفة (١٣) ، واضطهدوا رجال الدين، وقتلوا مئات الابرياء ، بالغدر حينا وباسم القانون الذي سنّوه حينا آخر .

اما بيت المقدس التي انتهكوا حرمتها اواسط سنـة ١٩٦٧ ففي خلال اشهر دمّروا بيوتا برمتها ، وشردوا اهلها ، واعتدوا على الكنائس والمساجد فسرقوا منها بعض آثارهـا النادرة ، واغلقوا عددا من بيوت الله وحالوا دون العبادة فيها. وماذا عساهم ان يفعلوا لو استقر بهم المقام ؟ سيمحون الآثار المسيحية قبل الاسلامية ، وسيطاردون الرهبان والقساوسة قبل الشيوخ ، وسينتقمون من المسيحية والمسيحيين شر انتقام. وليست هذه نبوءة . انها استنتاج من مبادئهم وكتبهم.

---

١٣ ــ المقدسات الاسلامية في فلسطين ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٣٧ .

(٧)

فضائل بيت المقدس

عثرنا في مكتبة الازهـر الشريف على مجمـوع يضم المخطوطات التالية :

١ ــ (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى) لشهاب الدين ابي العباس السيوطي .

٢ ــ (مثير الغرام الى زيارة القدس والشام) لاحمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال القدسي .

٣ ــ (باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس) لشيخ الاسلام برهـان الدين بن اسحاق بن تاج الدين الغـزاوي الشافعي .

٤ ــ (الاسنى في محل الاسرا في فضائل المسجـد الأقصى) لابي المعالي بن المرجي بن ابراهيم المقدسي .

٥ ــ (المستقصى في زيارة المسجد الأقصى) للحافظ بهاء الدين بن عساكر .

وقد راينا ان نثبت فصلا مما ورد في المخطوط الاول في فضائل بيت المقدس للدلالة على ما لهذه المدينة المقدسة من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين .

« واما فضائله فلا تحصى ، ولا تستقصى . والذي يدل على فضله من كتاب الله عز وجل : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية ، وبجميع البركات وافية . لانه اذا بورك حوله فالبركة فيه مضعفة ، ولان الله تعالى لما اراد ان يعرج بنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى سمائه جعل طريقه عليه تبينا لفضله ، وليجمع له فضل البيتين وشرفهما . والا فالطريق من البيت الحرام الى السماء كالطريق من بيت المقدس .

ومنها قوله تعالى لابراهيم ولوط عليهما السلام : « ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين » والمراد به بيت المقدس .

ومنها قوله تعالى : « والتين والزيتون » قال عقبة بن عامر ـ التين : دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

ومنها قوله تعالى : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » . وهو سور بيت المقدس باطنه باب الرحمة ، وظاهره وادي جهنم سلمنا الله من عذابه .

ومما يدل على فضله من السنة ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » .

وفي لفظ آخر من رواية ابن سعيد الذرى ـ رضي‌الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، والى مسجدي ، والى بيت المقدس . ولا صيام في يومين يوم الاضحى ويوم الفطر ، ولا صلاة في ساعتين بعد صلاة الغداة الى طلوع الشمس ، وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس . ولا تسافر امرأة الا مع زوج او ذي محرم » .

وعن ابي ذر ـ رضي‌الله عنه ـ قال : قلت يا رسول‌الله اي مسجد وضع في الارض اولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت ثم اي ؟ قال : المسجد الاقصى . قال : قلت كم بينهما اربعون سنة قال فأيهما ادركت الصلاة فصل فهو مسجد .

وعن عمران بن حصين انه قال : قلت يا رسول الله : ما احسن المدينة ! قال كيف لو رأيت بيت المقدس ! قلت وهو احسن ؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « وكيف لا يكون ، وكل من بها يزار ، ولا يزور ، وتهدى اليه الارواح ، ولا يهدى الروح ، ولا يهدى روح بيت المقدس الا ان الله اكرم المدينة وطيبها بي . فانا فيها حي وانها فيها ميت . ولولا ذلك ما هاجرت من مكة . فأنا ما رأيت القمر في بلد قط الا وهو بمكة احسن » .

وقال كعب : لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس فينقادان الى الجنة جميعا ، وفيهما اهلهما . والعرض والحساب ببيت المقدس .

وقوله تعالى : « ومن اظلم ممن‌منع مساجد الله ان‌يذكر

فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم»، نزلت في منع الروم المسلمين من بيت المقدس ، فاذلهم الله ، واخزاهم فلا يدخله احد منهم الا وهو خائف متلفع ثوب الخزي والهوان والصغار .

وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ان الحرم لحرم في السموات السبع بمقداره في الارض وان بيت المقدس لمقدس في السموات السبع بمقداره في الارض .

وقال كعب ان الله ينظر الى بيت المقدس كل يوم مرتين .

وقال : باب مفتوح من السماء ينزل منه الحنان والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من اراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : « ان الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس . وقال : من اتى البيت الحرام غفر له، ورفع له ثماني درجات . ومن اتى مسجد الرسول غفر له ورفع له ست درجات . ومن اتى بيت المقدس غفر له ورفع له اربع درجات . . وقال من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ببيت المقدس في كل يوم خمسا وعشرين مرة وقاه الله المتالف ، وادخله في البدلاء .

وعن خالد بن معدان ان حذو بيت المقدس باب من السماء

يهبط منه كل يوم سبعون الف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلي فيه ... وعنه ـ صلى الله عليه وسلم انه قال : ان لله بابا مفتوحا في سماء الدنيا نحو بيت المقدس ينزل كل يوم منه سبعون الف ملك يستغفرون الله لمن اتى بيت المقدس فصلى فيه .

وقال وهب بن منبه : اهل بيت المقدس جيران الله تعالى، وحق على الله ان لا يعذب جيرانه .

وقال ابن جريج عن عطاء انه قال : لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده الى بيت المقدس ، والى الارض المقدسة فيسكنهم الله اياها .

وقال عبدالله بن عمر : بيت المقدس بنته الانبياء وعمّرته الانبياء ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه ملك ، او قام عليه ملك .

وقال النعمان بن عطاء : ما من موضع في بيت المقدس الا وقد سجد عليه ملك او نبي . فلعل جبهتك ان توافي جبهة ملك او نبي .

وقال مقاتل بن سليمان : ما فيه موضع شبر الا وقد صلى عليه نبي مرسل او قام عليه ملك مقرب ... وقال : صخرة بيت المقدس وسط الدنيا . واذا قال العبد لصاحبه انطلق بنا الى بيت المقدس يقول الله تعالى : يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت لهما قبل ان يخرجا. هذا اذا كانا لا يصران على الذنوب . قال : ان الله تعالى تكفّل لمن سكن ببيت المقدس بالرزق ، وان فاته المال . ومن مات مقيما محتسبا في بيت

المقدس فكانما مات في السماء . ومن مات حول بيت المقدس فكانما مات في بيت المقدس ، واول ارض بارك الله فيها بيت المقدس . ويجعل الرب جلّ جلاله مقامه يوم القيامة في ارض بيت المقدس ، وجعل صفوته من الارض كلها ارض بيت المقدس ، وكلّم الله موسى في ارض بيت المقدس ، وتجلى له جلّ جلاله في ارض بيت المقدس . وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في ارض بيت المقدس . وردّ الله ملك سليمان عليه السلام في بيت المقدس .

وبشّر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس . وسخّر الله تعالى لداود الجبال والطير ببيت المقدس . وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام يقربون القرابين ببيت المقدس . وأوتيت مريم عليها السلام فاكهةالشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس . وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد صبيا ببيت المقدس . ورفعه الله الى السماء منه ، وينزل الى الارض من السماء ببيت المقدس . وانزلت عليه المائدة ببيت المقدس. ويغلب يأجوج ومأجوج علىالارض كلها غير بيت المقدس . ويهلكهم الله تعالى في ارض بيت المقدس . وينظر الله تعالى في كل يوم بخير الى بيتالمقدس. واعطى الله البراق للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فحملهالى بيت المقدس ، واوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا ان يدفنا ببيت المقدس ، واوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند ان يدفن في بيت المقدس . وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس . وصلى نبينا ــ صلى الله عليهوسلم ــ الى بيت المقدس . ورأى مالكا خازنالنار ليلة اسرى به ببيت المقدس . وركب البراق الى بيت المقدس . واهبط به من

السماء الى بيت المقدس . والمحشر والمنشر الى بيت المقدس. ويأتي الله في ظلال من الغمام والملائكة الى بيت المقدس . وتزف الجنة يوم القيامة ببيت المقدس . وينصب الصراط على جهنم الى الجنة بأرض بيت المقدس . وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس . وصفوف الملائكة يوم القيامة ببيت المقدس . وينفخ اسرافيل في الصور ببيت المقدس . وكفل زكريا مريم عليهما السلام ببيت المقدس . ومن سره ان يمشي في روضة من رياض الجنة فليمش في صخرة بيت المقدس. وايد الله عيسى عليه السلام بروح القدس ببيت المقدس واتى الله الحكم ليحيي صبيا في بيت المقدس . ومن صلى ببيت المقدس فكأنما صلى في السماء الدنيا .

ونشر الله الانبياء كلهم لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليهم فصلى بهم في بيت المقدس .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ان خيار امتى ستهاجر هجرة بعد هجرة الى بيت المقدس . ومن صلى ببيت ببيت المقدس بعد ان يتوضأ ويسبغ الوضوء ركعتين او اربعا غفر الله ما كان قبل ذلك . وفي رواية من صلى ببيت المقدس خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه . ومن صبر ببيت المقدس سنة على لأوائها ، وشدتها جاءه الله برزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغدا او يدخل الجنة ان شاء الله .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه : التجاء التجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن . قال يا رسول فان لم ادرك بيت المقدس

قال : فأبذل واحرز دينك ، وفي لفظ فابذل مالك ، واحرز دينك . ولذلك قال علي رضي الله عنه لصعصعة نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله . وليأتين زمان يقول احدهم ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس . واحب الشام الى الله بيت المقدس ، واحب جبالها اليه الصخرة » .

***

وبعد فهل يستطيع بنو اسرائيل ان يزعموا ان بيت المقدس هي مدينتهم وحدهم دون سواهم ؟

واذا تمكن الاسرائيليون من هذه المدينة ـ لا سمح الله ـ فما مصير الآثار الاسلامية والمسيحية؟ ومن يحميها من الدمار ؟

ان الاسرائيليين ينكرون رسالة عيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهما ـ واذن لا يمكن ان يؤتمنوا على آثارهما .

اما العرب والمسلمون فهم حماة هذا التراث الروحاني، وهم عليه مؤتمنون ، وله صائنون .

فليتدبر المسيحيون الغربيون هذا الكلام وليحذروا يوما يندمون فيه ولات ساعة مندم .

جدول تاريخي لمدينة القدس

ـ القـرن التاسع عشر ق.م.	كانت مركزا لعبادة الكنعانيين، وردت ذكرها في « نصوص الطهارة » .
ـ ١٥٠٠ ق.م.	ورد ذكرها في الواح تل العمارنة.
ـ القرن الحادي عشر ق.م.	عاصمة اليبوسيين .
ـ ١٠٤٨ ق.م.	استولى عليها داود من اليبوسيين.
ـ ١٠٠٧ ق.م.	اتم سليمان بناء الهيكل (مسجد سليمان) .
ـ ٩٧٢ ق.م.	استولى عليها شيشق من رحبعام.
ـ ٧١٣ ق.م.	زحف عليها سنحريب .
ـ ٥٨٦ ق.م.	استولى عليها نبوخذ نصر ودمّرها.
ـ ٥١٦ ق.م.	اعيد بناؤها زمن داريوس .
ـ ٣٥١ ق.م.	استولى عليها الفرس .
ـ ٣٣٢ ق.م.	زارها الاسكندر الاكبر ؟
ـ ١٧٠ ق.م.	نهبها وهدم هيكلها انطيوخوس ابيفانوس .
ـ ٦٦ ق.م.	دخلها بومبي .
ـ ٢٠ ق.م.	اعاد هيرودس الهيكل .
ـ ٢٩ ب.م.	اعتداء اليهود على السيد المسيح ونبوءته بخرابها .
ـ ٧٠ ب.م.	دمّرها تيطوس (طيطوس) .
ـ ١٣٥ ب.م.	دمّرها هادريانوس واعاد بناءها وسماها ايلياء العظمى .

ـ ٣٢٦ ب.م.	بناء كنيسة القيامة زمن حكم قسطنطين .
ـ ٦٢٨ ب.م.	استولى عليها هرقل وحرّم على اليهود دخولها .
ـ ٦٣٧ ب.م.	فتحها المسلمون ودخلها الخليفة عمر بن الخطاب .
ـ ٦٨٨ ب.م.	بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة .
ـ ١٠٩٩ ب.م.	استولى عليها الصليبيون .
ـ ١١٨٧ ب.م.	استردها السلطان صلاح الدين .
ـ ١٥١٧ ب.م.	بدء الحكم العثماني .
ـ ١٧٩٨ ب.م.	زارها نابليون .
ـ ١٨٣١ ب.م.	دخلها ابراهيم باشا .
ـ ١٩١٧ ب.م.	دخلها اللورد اللنبي .
ـ ١٩٢٠ ب.م.	عاصمة فلسطين المحتلة من قبل بريطانيه .
ـ ١٩٢٣ ب.م.	بدء الانتداب .
ـ ١٩٣٠ ب.م.	قضية البراق وحكم اللجنة الدولية بأنه ملك المسلمين وحدهم .
ـ ١٩٤٨ ب.م.	استولى اليهود على القدس الجديدة .
ـ ١٩٦٧ ب.م.	استولى اليهود على القدس القديمة .
ـ ١٩٦٨ ب.م.	اقام الاسرائيليون اول عرض عسكري واغتصبوا مساحة كبيرة من اراضي المدينة المقدسة داخل السور وخارجه .

مصادر دراسة بيت المقدس

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
١	الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل	مجير الدين الحنبلي	القاهرة ١٢٨٣ هـ
٢	تاريخ اورشليم	خليل بن خطار سركيس	بيروت ١٨٧٤ م
٣	تاريخ فلسطين	عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح	القدس ١٩٢٣ م
٤	تاريخ القدس	خليل طوطح وبولس شحادة	القدس
٥	الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية	عبد الغني النابلسي	القاهرة ١٩٠٢ م
٦	السير السليم في تاريخ يافا والرملة واورشليم	الآباء الفرنسسكان	القدس ١٨٩٠ م
٧	قضية القدس	عز الدين فوده	بيروت ١٩٦٩ م
٨	مثير الغرام بفضائل القدس والشام	ابو محمد احمد بن ابراهيم بن تميم بن سرور المقدسي	القدس ١٩٤٦ م
٩	المفصل في تاريخ القدس	عارف العارف	القدس ١٩٦١ م

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

اسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

(٢) سلسلة « حقائق وارقام »

(٣) سلسلة « ابحاث فلسطينية »

(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »

(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »

(٦) خرائط وصور فلسطينية

(٧) سلسلة « نشرات خاصة »

السعر ٢٠٠ ق.ل